١٠٦١
1061
HARLEQUIN
دار ح. النحاس

ثمرة الابتزاز

جاكلين بيرد

www.elromancia.com

مرمورية

٦١
61
دار
النجم

ثمرة الابتزاز

جاكلين بيرد

في سبيل الصداقة الحقة، وافقت باريسا على المساعدة في استعادة مظروف الصور، ولكن عندما وجدت نفسها تسطو على شقة فخمة في حي «ماي فير» أدركت فجاة فداحة العمل الذي قامت به، ولكن بعد فوات الأوان.

بعد أن ضبطت بالجرم المشهود، وجدت باريسا نفسها في مواجهة الرجل الذي يبتز صديقتها المقربة. لقد كان لوك دي ماغي ينوي المساومة على الصور لأنه الآن في وضع يسمح له بالمطالبة بامور لم يكن يستطيع الحصول عليها منذ عشر سنوات خلت. لقد أراد لوك أن تكون باريسا تحت سيطرته.

ثمرة الابتزاز
جاكلين بيرد
PENGUIN

هل كان لديها أي خيار آخر؟

«وماذا يتوجب عليّ أن أفعل بالضبط؟» قالت محاولة المماطلة وتابعت: «أحضر حفلة واحدة فقط، هذا كل ما في الأمر.» قالت ذلك بطريقة توحي بأنها تفكر جدياً بعرضه.

قال ساخراً: «أجل، لكن حاولي أن تكوني لطيفة معي، وتصرفي وكأننا خطيبان.»

قالت باريسا التي كانت تنوي صفع هذا الرجل المتعجرف: «ولكني لست بارعة في التمثيل.»

«سوف أعلمك.»

١٠٦١

Abir 1061

ثمرة الابتزاز

جاكلين بيرد

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

جاكلين بيرد

بدأت جاكلين بيرد الكتابة كهواية وما لبثت ان تعلقت بكتابة الرواية الرومانسية. تهوى جاكلين السفر، وقد جالت العالم كله، من أوروبا إلى الأميركيتين، إلى اوستراليا، ثم عادت لتستعد وتتزوج من الانسان الذي أحبته في فترة مراهقتها. يعيش الزوجان الآن في منطقة بونتلاند، نورتامبريا مع ولديهما المراهقين. تحب جاكلين ممارسة لعبة البادمنتون (لعبة شبيهة بالتنس ولكن تستعمل فيها الريشة بدل الطابة.) وتمضي معظم عطل نهاية الأسبوع في البحر مع زوجها جيم على متن يختهما الخاص.

www.elromancia.com

انتبه ألا تبتاع هذه الرواية من غير غلاف لأنها قد تكون مسروقة، فيجب إبلاغ الناشرين لأن الكتاب الذي لم يبع، يجب إتلافه، فأي من الكاتبة أو الناشرين لم يتقاضوا ثمناً لهذه النسخة المسروقة.

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية:

MASTER OF PASSION

Copyright © by Jacqueline Baird 1993

ISBN 0-373-11683-7

Mills & Boon first edition October 1993

الطبعة العربية الاولى عن مؤسسة النحاس ١٩٩٥

عنوان الطبعة العربية

ثمرة الابتزاز بقلم جاكلين بيرد

ترجمة: أديب الموسى

سلسلة عبير ١٠٦١

حقوق النشر باللغة العربية محفوظة ومحصورة في جميع البلدان لمؤسسة النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات – بيروت (دار م. النحاس) بترخيص من هارلكوين انتربرايزس ليمتد (Harlequin Enterprises Limited).

جميع الحقوق محفوظة. باستثناء استعماله في أي مرجعية، يمنع استنساخ هذا الكتاب أو استعماله كلياً أو جزئياً بأي شكل وبأي جهاز من الأجهزة الالكترونية أو الميكانيكية أو الوسائل الأخرى، المعروفة الآن أو التي يتم في ما بعد اختراعها، بما في ذلك الوسائل الزيروغرافية والتصوير والتسجيل أو تخزين أي معلومات منها أو استعادتها بأي جهاز من الأجهزة، من دون الحصول على إذن من الناشر.

كل شخصيات هذا الكتاب ليس لها وجود خارج خيال الكاتبة، وليس لها أية علاقة بأي شخص قد يصدف ويتشابه اسمه مع أحد الأسماء في الكتاب ولا تستند شخصيات الكتاب، أو الأسماء التي تحملها إلى أية شخصية تعرفها، أو لا تعرفها الكاتبة، بل كل أحداث الرواية هي من نسج الخيال الصرف.

العنوان: مؤسسة النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات. بيروت. لبنان شارع فردان بناية رضوان الطابق التاسع. ص.ب: ١١/٩٧١٨. فاكس ٨٦٦٤٩٩. هاتف: ٨٦٦٤٩٨، ٨٦٥٣٧١. سجل تجاري: ٧٥١٠. بيروت. تسجيل العلامات التجارية في وزارة الاقتصاد دار م. النحاس للنشر ٥٩٤٣٩

الفصل الأول

مال جسد باريسا الممشوق بخفة عبر شباك الحمام محاولة ادخال قدميها قبل جسدها، فارتطم بطنها المسطح برف الشباك بينما كانت تتسلل إلى الحمام، أو لنقل إلى أرض الأمان.

تباً! كم تضايقت ولعنت حظها عندما بدأ الماء يتسرب من أحد القساطل. لقد أقسمت بأن تقتل صديقتها مويا إذا ما استطاعت ان تسحب قدمها من كرسي الحمام وجسدها من هذا المأزق والخروج سالمة.

لا بد أنها كانت معتوهة عندما وافقت على خطة مويا السخيفة للسطو على شقة تقع في الطابق الثالث وفي وسط منطقة «ماي فير». ما همها أن تكون صديقتها تتعرض للابتزاز؟ لقد كان على صديقتها الحمقاء أن تملك حساً أكبر بالمسؤولية بدل أن تقف أمام عدسة كاميرا أحد الايطاليين على الشاطىء جنوبي فرنسا، وتتصور هناك بمفردها. عندما اعلنت خطوبة مويا في صحيفة «التايمز» لابن أحد القضاة البارزين الذي كان أخوه رجل دين، لا أكثر، بدأ هذا المحتال الايطالي بالاتصال بصديقتها مطالباً بالمال ثمناً للصور.

وبتنهيدة فرج، شعرت باريسا أخيراً أن قدميها قد لامستا أرض الحمام، فاطمأنت لأنها قد دخلت الشقة ووقفت بهدوء لتكييف نظرها مع الظلام ولاسترجاع قواها الخائرة.

بالأمس، وفي صبيحة أحد أيام شباط (فبراير) ذات الضوء الرمادي والطقس البارد، بدا لها المخطط سهلاً. وقد حضرت مويا هذا الصباح للقاء ذاك الايطالي في محاولة منها لاسترجاع الصور. وتولت مهمة فتح شباك الحمام، ومن حسن الحظ أن الرجل لم يلاحظ أن شباك حمامه مفتوح قبل ترك منزله والتوجه إلى عمله. وبما أنه مدير أحد المطاعم في لندن ويعمل حتىَ ساعة متأخرة من الليل، لم يكن هناك أي شك في غيابه عن المنزل ليلة الجمعة.

حتى الآن يسير كل شيء حسب المخطط، فكل ما على باريسا ان تفعله هو السير عبر البهو في اتجاه غرفة الجلوس، وحسب كلام مويا فإن صورها موجودة داخل جارور مقفل في طاولة ذات سطح مغطى بالجلد. لقد راقبت مويا ذاك الصباح الرجل وهو يضع الصور في ذلك المكان، في الوقت الذي كانت تعده بخوف بأنها سوف تدفع له المال في اليوم التالي. الساعة الآن العاشرة ليلاً والظلام دامس في الخارج وكل شيء يسير على ما يرام. ولكن باريسا تعيش حالة من القلق.

حتى هذه الساعة لا يزال المكان خاوياً، قالت ذلك في محاولة منها لطمأنة نفسها بعد أن تكيف نظرها مع الظلام، واستطاعت تمييز إطار الباب عن غيره فتقدمت في اتجاهه، ولكنها ما لبثت ان تسمرت في مكانها.

لقد تسرب بعض الضوء إلى الحمام من أحد الأبواب المفتوحة بشكل جزئي وهو الباب الذي كانت تنوي التوجه نحوه، وهنا عادت باريسا لتلعن حظها بعد ما سمعت

بوضوح أصوات بعض الأشخاص. وبقلب ملأه الرعب كتمت نفسها وراء الباب المفتوح نصف فتحة. على الحائط المقابل لها شاهدت مرآة استطاعت ان ترى فيها صورة رجل يدير لها ظهره وإلى جانبه امرأة واقفة ممدودة اليدين، ولوهلة شعرت باريسا أن وجه هذه المرأة مألوف لديها. لقد كانت مارغوت ماي وهي امرأة ذات رأس صغير وشعر أحمر ومشهورة، ان لم تكن مشهورة، فهي على الأقل فنانة محلية.

تباً! ما هذا المأزق. لقد جف ريق باريسا من الخوف، كانت واثقة أنه سيتم افتضاح أمرها في أية لحظة، ولهذا لم تنبس ببنت شفة ولم تحرك ساكناً.

«أؤكد لك يا مارغوت أني كنت أنوي الاتصال بك يوم غد، أما اليوم فلقد كان لدي عمل وعليّ الالتزام به.»

لقد سبب هذا الصوت العميق ذو اللكنة الخفيفة، الرعب في نفس باريسا. إذن هذا هو «الحقير النذل الصغير.» كما تسميه صديقتها. لقد لاحظت باريسا أن صديقتها مويا أخطأت الوصف عندما سمت هذا الرجل «بالصغير»، فحسب اعتقادها، لم يكن هناك أي شيء صغير في هذا الرجل، فقد كان عريض المنكبين وطوله يزيد عن ١٩٠ سم. أما بالنسبة لوجوده في المنزل، فإنه لم يغادره ولم يذهب إلى عمله، بل كان موجوداً في الغرفة.

«لوك، عزيزي، لا تغضب مني.» ثم لفت يديها الممشوقتين حول كرسي، وتابعت: «لم استطع أن أتحمل بعدك عني، فقد مر وقت طويل لم أرك فيه.»

في هذه اللحظات شعرت باريسا بأن الدم يكاد ينفر من

وجنتيها، فاسم لوك ليس غريباً عليها، لا بد وأنها سمعت بهذا الاسم من قبل. ولكن من غير المعقول ان يكون هو. فأحنت رأسها محاولة استبعاد الفكرة وشعرت بأن العرق يتصبب على حاجبيها من تحت قبعتها السوداء السميكة. لقد كان عليها الخروج من هذا المكان وبسرعة. في هذا الوقت، دهشت عندما رأت الرجل يبتعد ويتراجع إلى الوراء.

«ليس الليلة يا مارغوت، لقد أخبرتك بأنني مشغول، سوف أراك لاحقاً في منزلك.»

«ولكن يا لوك...»

«لا.»

كم أشفقت باريسا على حال هذه المرأة، التي تغيرت تقاسيم وجهها من الجمال إلى الغضب لتصرف هذا الرجل الأرعن الذي رفض مرافقتها. ولكنه عاد ليخفي تصرفه الأرعن خلف قناع متمثل بابتسامة مصطنعة.

قالت المرأة بصوت مبحوح: «لقد تم رفضي من سيد الأناقة شخصياً! لماذا يا لوك؟ أنت تعرف أني لم أرك منذ زمن طويل.»

في هذه الأثناء حاولت باريسا ان تكتم تنهيدة الاحتقار ولكنها لم تستطع، «سيد الأناقة» يا لها من نكتة! كان الأجدر به أن يسمى «سيد الغرور،» فهذا الاسم يناسبه أكثر. ألم تستطع هذه المرأة ان تلاحظ كم أن هذا الرجل مغفل؟

«ربما، ولكن ليس الآن، سوف أقضي معك بعض الوقت يوم غدٍ، أعدك بذلك، أما الآن فعليك الرحيل.»

«هل هذا يعني أنك اعدت التفكير في الأمر وأنك سوف تصطحبني معك إلى ايطاليا في الأسبوع المقبل لحضور

حفلة والدتك؟ لقد مضى على صداقتنا أكثر من سنة، كانت سنة رائعة فعلاً.» ثم تنهدت بغصة.

كانت باريسا على وشك أن تنفجر من كلام هذه المرأة، ألا تملك هذه المخلوقة أي حس بالكبرياء؟

«مارغوت، فلنتكلم بصراحة، لا أجد طريقة لأقدمك بها إلى أمي وأنت تعرفين ذلك، لقد كانت صداقاتك كثيرة، وعلنية.» ثم ضحك وتابع كلامه: «إن كل ايطاليا، بما فيها أمي رأت صورتك وأنت تجلسين إلى الطاولة في أحد أفخم مطاعم روما وبرفقة أحد اعضاء الحكومة.»

قالت المرأة بمرارة كبيرة: «أتعني أني جيدة في الصداقة فقط، وليس الزواج؟»

«كوني واقعية، لقد كنا قد حضرنا مشاريع ممتازة، أنا وأنت فقط.» ثم وضع الرجل يده على كتفها محاولاً مراضاتها وتابع: «لا تفسدي الأمر بمزيد من الأسئلة، أما الآن فعليك حقاً أن ترحلي. وبالمناسبة، كيف عرفت مكاني؟» ثم بدأ صوته يخفت، فشعرت باريسا ببعض الارتياح عندما لاحظت أنه يرافق المرأة في اتجاه باب الغرفة. ولكنها عادت للتفكير في صوت هذا الرجل المألوف.

«لقد عرفت بوصولك من الصحف، كما عرفت أنك اشتريت المطعم، وهكذا، عندما لم أجدك في مكانك المعتاد، اتصلت بالمطعم وأعطوني عنوان الـ...»

وهنا لم تعد باريسا تسمع أي صوت ما عدا صوت دمها الذي كان يغلي من الغضب. لا بد أن هذا الشرير قد ابتز العديد من النساء، فاستطاع بذلك شراء أكبر مطعم خاص في

www.elromancia.com

لندن، ثم سمعت صوت اغلاق الباب، ومن بعده سمعت صوت اغلاق الباب مرة ثانية، فعرفت انهما قد رحلا.

وبحذر شديد مسحت كفيها المعرورقتين بجانبيها فامتص الفستان الأسود الضيق بعض الرطوبة. لقد أصبحت على وشك اتمام المهمة كما تعتقد، فتنفست الصعداء في الوقت الذي كانت تعود فيه دقات قلبها إلى سرعتها الطبيعية تقريباً، ثم خرجت بخفة وحذر شديدين من الحمام إلى البهو.

لقد تحولت الاثارة التي كانت تعتريها بينما كانت تتسلق درج الحرائق الخلفي إلى خوف مشوب بحالة من الذعر. لا بد انها كانت مجنونة، لأنها قبلت بهكذا مهمة. ولكنها، وبعزم كبير استطاعت عبور البهو وفتحت الباب وما لبثت أن وجدت نفسها في غرفة مظلمة. لم تجرؤ على إضاءة النور، بل سحبت بحذر شديد مصباحاً كهربائياً من الكيس المعلق بحزامها الجلدي العريض الذي كان يطوق خصرها، ثم اضاءته.

إذن، هذا هو المكتب، وتقدمت في اتجاهه. سحبت الجارور الأول فكان مقفلاً، ومرة ثانية عادت لتبعثر في محتويات كيسها فوجدت سكيناً، فارتسمت على شفتيها ابتسامة صغيرة، وفكرت بالموقف الذي ستكون فيه إذا ما ضبطتها الشرطة في هكذا وضع.

انحنت باريسا فوق طاولة المكتب وأدخلت السكين بين القفل والخشب وحاولت سحب الجارور إلى الخارج، فلم تنجح في ذلك. إن الأمر يبدو أكثر سهولة في الأفلام السينمائية، قالت في نفسها بغيظ شديد. انحنت مرة ثانية

ولكزت ذاك القفل العنيد، فتشقق الخشب ونجحت في فتح الجارور.

وأخيراً عثرت على الصور، فاخرجتها من مظروفها سريعاً، ومررّت الضوء فوقها، أجل، إنها صور مويا. ولو أن مويا تريد الزواج من أي شخص ينتمي إلى أي عائلة أخرى، لما كانت هذه الصور سببت لها أي إحراج. فابتسمت باريسا ابتسامة رضى وأعلنت انتهاء المهمة. وعندما استدارت وحاولت المشي اصطدمت بشيء ضخم.

«لقد أمسكتك.»

لم تعرف باريسا بمَ اصطدمت، وقبل ان تصرخ امتدت ذراع قوية العضلات والتقطتها من خصرها واسقطتها أرضاً. فتحت باريسا فمها محاولة الصراخ، فما كان من مهاجمها إلا أن هوى بثقله فوق ظهرها فمنع الهواء من دخول رئتيها مما سبب عجزها عن الصراخ، صعقت باريسا لهول المفاجأة، فتجمدت ولم تحاول الهرب، ومع شعورها بدوار أيقنت أنها ممددة أرضاً على بطنها، وأحست بثقل طن يجثم فوقها. كان رسغاها مثبتين فوق رأسها، ورأت ذراعاً مرفوعة تنوي ضربها.

قالت باريسا صارخة بعد أن استعادت صوتها: «انهض من فوقي أيها المتوحش الضخم وإلا استدعيت الشرطة.» لقد كانت غاضبة لدرجة أنها لم تلاحظ سذاجة ملاحظتها. وبعد الارهاق الذي حصل لها من ثقل وزنه، لم تعد في وضع يسمح لها بالمقاومة. ولكنها فعلت كل ما في مقدورها للتخلص من الجسد الذي كان يجثم فوق ظهرها.

أما اليد التي كانت تعتقد أنها تحاول ضربها، فقد رفعت

القبعة السوداء عن شعرها، فتدلى شعرها الذهبي على كتفيها، ثم عادت وأمسكتها من ذقنها.

«حسناً، حسناً، انظروا ماذا لدينا.»

لقد بدا صوته كصوت ممثل كومبارس من فيلم من الدرجة الثانية حسب وصف باريسا. ولكنها عادت وفقدت حسها المرح بعد أن تذكرت موقفها الحرج.

لقد كانت ساقاه الثقيلتان تضغطان على خصرها، وكان منحنياً فوقها في الوقت الذي كانت فيه يده الأخرى ممسكة برسغيها. باختصار، كانت عاجزة عن الحركة، شعرت باريسا بزفير الرجل يلفح وجهها، وعلى ضوء المصباح الكهربائي الخافت الملقى على الأرض بقربها، استطاعت رؤية وجهه للمرة الأولى.

قالت بصوت متهدج: «هذا أنت! لقد كان يتوجب عليّ معرفة ذلك.» كان يبدو أكبر سناً منها، وكان شكل حاجبيه وتقاسيم وجهه وعينيه السوداوين يوحي بالقسوة.

«لقد تعادلنا يا باريسا.»

حدقت باريسا بالرجل وشعرت وكأنها منومة مغنطيسياً في الوقت الذي بدأ رأسها بالدوار وشعرت بأنها سوف تموت إذا لم يسمح للهواء بأن يدخل رئتيها.

في هذه اللحظات لمع ضوء قوي على وجهها، فاستدارت برأسها، فرأت ساقين انثويتين ممشوقتين.

«عزيزي لوك، ماذا حصل؟»

«تينا؟ لقد وصلت!» قال الرجل ذلك بصوت بدا عميقاً ومشوشاً بالنسبة لباريسا المنهكة.

«من الواضح أني وصلت في وقت غير مناسب.» ثم

ضحكت تينا وقالت بصوت مصدوم: «باريسا بلمونت، لم أكن أتصور أنكما بقيتما على اتصال بعد كل هذا الزمن! ولكني سعيدة لذلك، لطالما اعتقدت أنكما تشكلان ثنائياً رائعاً.»

نظرت باريسا الممددة إلى تينا برانكو وهي فتاة كانت زميلة لها في نفس المدرسة الداخلية التي كانت تدرس فيها، فما كان من باريسا إلا أن بادرتها بالقول: «مساء الخير يا تينا.» كم شعرت باريسا بالحماقة لتفوهها بهذه التحية. يا لها من غبية. لقد كان الموقف يشبه المسرحيات الهزلية الفرنسية.

أغمضت باريسا عينيها وحاولت طمأنة نفسها بأن ما يحدث هو مجرد كابوس، من المؤكد أنه كذلك، إلا أن وزن الرجل الذي كان يضع ثقلة فوقها، حقيقة مؤكدة غير قابلة للشك. وفجأة عادت وفتحت عينيها، فهي لم تكن مخطئة في تحليلها لأن قوته لا تزال تضغط على معدتها.

صرخت باريسا بشراسة وهي محمرة الوجه من الخجل: «دعني أنهض.»

في هذا الوقت استدرك الرجل حراجة الموقف الذي كان فيه ووقف منتصباً على قدميه ثم مد يده لمساعدة باريسا على الوقوف، ومن دون أن يترك يدها استدار ببطء لمواجهة تينا.

«أنا آسف لما حصل يا ابنة العم، ولكنك كنت قد وعدتني بالحضور قبل هذا الوقت.»

«هذا صحيح، ولكن كان جينو قد طلب أن نتناول طعام العشاء أولاً، كما أننا لم نكن نعرف ان شقتك بعيدة عن

www.elromancia.com

المطعم. إنه في انتظاري الآن في سيارة الأجرة، فنحن مسافران هذه الليلة إلى إيطاليا.» ثم رفعت الحقيبة السوداء التي كانت تحملها وتابعت: «إن كل الأوراق التي طلبتها موجودة هنا. والآن عليّ الانصراف.»

ثم نظرت إلى باريسا وابتسمت ابتسامة عذبة وقالت: «لقد سررت برؤيتك ثانية، أنا آسفة، لا وقت لدي الآن للمسامرة، ولا تنسي أن تحضري الحفلة يوم الثلاثاء، فوالدة لوك ستكون سعيدة بالتعرف إليك، إلى اللقاء.» ثم رحلت.

بعد ذلك عمّ الهدوء المكان، فحاولت باريسا أن تفلت يدها من يد لوك، ولكنه أحكم قبضته على يدها، ودون أن ينطق بأية كلمة، جرها عبر الغرفة إلى أريكة كبيرة ورماها عليها.

«اجلسي.»

لم يكن أمام باريسا أي خيار آخر سوى إطاعة الأوامر، وبعصبية كبيرة شدت أصابعها المتشنجة. لو كان لباريسا أدنى شك في أن الرجل الذي تورطت مويا معه هو لوكادي ماغي المسمى بـ «لوك» من قبل اصدقائه... لما اقتربت من منزله أكثر من ميل. لقد التقت بالرجل مرة واحدة عندما كانت مراهقة تبلغ من العمر أربعة عشر عاماً، وكم تمنت أن لا تراه ثانية.

«إذن، باريسا بلمونت، أم عليّ تسميتك بـ الليدي باريسا هاردكورت بلمونت؟» لقد كادت هذه السخرية ان تمزق أعصاب باريسا المضطربة وتابع: «ها نحن نلتقي ثانية، ومن الواضح ان كل هذا الزمن لم يعلمك بعض التعقل، ربما يجدر بك أن تفسري لي ما كنت تقومين به، فلقد دخلت إلى

الشقة بالكسر والخلع، وها أنت متلبسة بالسرقة.»

كان يروح ويجيء بالقرب منها، ولأول مرة في تلك الأمسية استطاعت أن تنظر إليه نظرة متفحصة، فشعرت بنوع من العجز يسيطر عليها في الوقت الذي كانت تحدق به. كان ضخم الجثة، أنيقاً، وكانت سترته الداكنة تظهر كتفيه العريضتين، وكان قميصه الأبيض الحريري مفتوحاً عند العنق. كما كان قوياً وطويل القامة. وعندما التقت عينا باريسا الزرقاوان بعينيه، شعرت بمدى حنقه.

«إذا كنت متعطشة لهذه الدرجة إلى المال، فبإمكان امرأة جميلة مثلك أن تلجأ إلى الأساليب النسائية القديمة، مثلاً، قبل اللجوء إلى السرقة.» قال ذلك بشكل تهكمي.

ابتلعت باريسا ريقها ونظرت إلى البعيد، فاصطدم نظرها بمظروف الصور الملقى على السجادة، الأمر الذي ذكرها بسبب وقوعها في مثل هذا المأزق، ثم استوت في جلستها ورفعت رأسها وحدقت بوجه خصمها الفظ.

«ان المال ليس سبب وجودي هنا، فتلك لعبتك وليست لعبتي يا لوك، ولكنك أسأت الاختيار عندما اخترت مويا لابتزازها، فهي صديقتي.» بعد ذلك لم تحاول باريسا أن تخفي الاستهزاء الذي ظهر في عينيها الزرقاوين، فهي لم تقم بأي عمل خارج عن القانون بعكس هذا الرجل، ثم تابعت كلامها: «أما بالنسبة للكسر والخلع...»

قال بهدوء شديد وكأنه يحدث نفسه: «لقد تركت الباب مفتوحاً لبرهة.» فشعرت باريسا بنظرة مدققة تغلف عينيه السوداوين، في الوقت الذي كان يحدق فيه في أرجاء الغرفة وتابع: «وهكذا دخلت.» ثم اتجه صوب طاولة المكتب وفتح

www.elromancia.com

الجارور، بعدئذٍ رأى الصور على الأرض فانحنى والتقطها.

لم تكن باريسا مضطرة لتصحيح معلوماته ولم تكن مضطرة لاخباره بأنها شاهدته مع احداهن، فراقبته وهو يقلب الصور والابتسامة المصطنعة ترتسم على فمه، بعد ذلك استدار نحوها وقال مستفسراً: «لقد اتيت من أجل هذه الصور إذن.»

لقد صار يعرف الآن السبب الحقيقي لوجودها في منزله. فأجابته: «بالطبع.» ثم نهضت على قدميها وتوجهت نحوه بشجاعة كبيرة وأضافت قائلة: «أما بالنسبة لدفع المال ثمناً لهذه الصور، فأرجو أن لا تحلم بذلك.» مدت باريسا يدها والتقطت أحد طرفي المظروف، فما كان من لوك إلا أن احكم قبضته على رسغها ثم أجبرها على ترك الصور.

«ليس بهذه السرعة يا باريسا، اتعتقدين بأنني كنت أبتز صديقتك؟» ثم هز المظروف بالقرب منها وتابع: «لهذا السبب إذن قررت السطو على الشقة وسرقة الدليل. هل أنا مخطىء في تقديري؟»

«لا تحاول أن تلعب معي دور البريء يا لوك دي ماغي، لأنني أعرف كل ألاعيبك، فلكي تحصل على مدخول إضافي زيادة على مدخول المطعم، تلجأ إلى ابتزاز بعض الشابات المسكينات.» ثم ابتسمت مستهزئة.

«المطعم؟ إذن أنت تعرفين بأمره؟»

ما قصة هذا الرجل؟ وهل يحاول حقاً أن يستغبيها من وراء هذه الأسئلة؟ فكرت باريسا قليلاً، ثم قالت محاولة

استدراجه: «اما أن تعطيني هذه الصور أو استدعي الشرطة.»

كان لطريقة لمسه لرسغها، وقرب جثته الضخمة منها تأثيراً كبيراً على اعصابها المنهكة. لقد كان عليها أن تخرج من هذا المكان وبسرعة، فبعيداً عن كل ما يجري، لم يكن لباريسا أية ثقة بمويا الخائفة، الأمر الذي قد يسبب نفاد صبرها فتقود سيارتها وترحل إذا ما تأخرت باريسا أكثر من ذلك.

وهنا، خرق صوت لوك الصمت الذي خيّم على المكان، فقال: «سوف تستدعين الشرطة يا باريسا؟ انت تدهشينني، فلطالما اعتقدتك أذكى من ذلك.»

قالت باريسا بصوت عالٍ: «ان الابتزاز جريمة كبرى.»

«ولكن يا عزيزتي باريسا، قبل أن تصل الشرطة إلى المكان أكون قد أحرقت الدليل، وكل ما ستجده الشرطة هو امرأة شابة متلبسة بالسرقة.» ثم نظر إليها نظرة متفحصة من أعلى شعرها إلى أخمص قدميها وهو يبتسم بطريقة مثيرة.

فجأة، فكرت باريسا بالمنظر الذي تبدو عليه، ففستانها الأسود كان ضيقاً، وبطريقة دفاعية شبكت يديها ببعضهما لعجزها عن مواجهته بالكلام. إذا ما أحرق الصور تكون مشكلة مويا قد حلت، ولكن بالمقابل تكون مشكلتها هي قد بدأت.

«نعم يا صغيرتي.» ثم أخذ يتأمل ملامح وجهها الجميل الذي بدأ يتبدل من الخوف، وأردف قائلاً: «بدل الصور سيشاهدونك أنت وسيشاهدون سكينك وقفل جارور طاولة

www.elromancia.com

مكتبي المكسور. وبإضافة رزمة من المال إلى الموقف، استطيع ان اضمن لك حكماً طويل الأمد تقضينه في السجن.»

بدا مخططه قريباً جداً إلى المنطق، فلاحظت باريسا بقلب خافق من الخوف، وثقة بالنفس في طور التلاشي، أنها لا تستطيع ان تفعل أي شيء. نظرت إلى الأعلى في اتجاه عينيه السوداوين الباردتين وفكرت بخوف بما قد يحصل لها.

«ولكن سوف أعقد معك صفقة، فاذا وافقت عليها استطيع ان أضمن لك أن الصور والأفلام سوف تصل إلى صديقتك في القريب العاجل وبسرعة تامة.»

«صفقة؟» لم تكن باريسا تثق به، فكيف يمكن أن تثق بشخص مثل دي ماغي؟ إنه محتال. ولكن مع ذلك كان عليها أن تصغي إليه. قالت مستفسرة: «وما نوع الصفقة؟» محاولة التظاهر بأنها مازالت تتحكم بأعصابها.

مشى لوك بتمهل عبر الغرفة، ووضع الصور على خزانة ادوات المائدة، ثم التقط زجاجة من عصير الأناناس كانت موضوعة على صينية فضية وسكب بعضاً منها في كأس كريستالية وخاطبها قائلاً:

«أتشاركينني بكأس من العصير؟» ثم أدار رأسه في اتجاهها وتابع: «أترغبين في بعض الأناناس، أو لعلك تفضلين مزيجاً من عصير الليمون والبرتقال، تبدين مصدومة قليلاً.»

ان كلمة «مصدومة» لا تفي بالغرض لوصف مشاعر باريسا، كما أنه لم يكن هناك أي مجال لتشارك شخصاً مثله الشراب.

«لا أريد شيئاً، أشكرك. أدخل في صلب الموضوع فقط.»

قال ساخراً: «إنك عديمة الصبر.» وبضع خطوات استطاع ان يعبر الغرفة من أولها إلى آخرها وجلس على الكرسي المواجه لها.

أخذ رشفة من شرابه، ثم ركز بصره عليها وكأنه يحاول أن يستخلص فكرة ما، ثم قال: «حسناً يا باريسا، ان الأمر سهل جداً، فكما قالت تينا عندما خاطبتنا بفظاظة، عليّ السفر لحضور حفلة والدتي يوم الثلاثاء المقبل.»

قالت بسخرية: «استغرب ان لامثالك أمهات.»

«يا لك من فظة يا باريسا.»

«حسناً، أدخل في صلب الموضوع.»

«ان أمي في السبعين من العمر، وللأسف فإن صحتها ليست على ما يرام، أما أغلى أمنياتها فهي أن تراني متزوجاً، إلا أني لا أنوي التورط في مثل هذه الأمور. ولكن، لكي أريح بال والدتي لا أمانع في أن أتظاهر بذلك، وهنا يأتي دورك.»

نظرت باريسا إليه بارتياب، فالفكرة لم ترق لها، ثم ركزت بصرها على وجهه. لقد كان رجلاً وسيماً جداً، ذا شعر أسود كثيف يتدلى على شكل موجات على جبهته العريضة، وكانت عيناه مفتوحتين نصف فتحة وكأنهما تحاولان أن تخفيا تعابير وجهه. أما فمه فقد كان جميلاً، ونقنه رباعي الشكل بالنسبة لأنفه، فقد كان من النوع الروماني المثالي مما منحه نوعاً من الوسامة الكلاسيكية.

سألت بقلق شديد: «وكيف ذلك؟»

«تسافرين معي إلى ايطاليا وتتظاهرين بأنك خطيبتي

لمدة يومين فقط، وبالمقابل تحصل صديقتك على الصور. أعتقد أن والدتي سوف تفرح كثيراً إذا ما تأكدت أن «ليدي» انكليزية سوف تصبح كنتها، وبذلك أكون قد أرحت نفسي لبعض الوقت.»

لقد سبق لباريسا أن رأت كل ما حدث هذه الليلة، فقد شاهدت احدى المعجبات به وهي تتوسل إليه أن يصطحبها معه، وشاهدته وهو يخذلها برعونة. أما هي فإنها لم تعتد على استعمال لقبها «ليدي» على الدوام، فقد كانت تستعمله عندما تبغي لفت نظر الآخرين فقط.

ان السؤال المطروح هنا هو، هل تستطيع باريسا أن تحتمل رفقة هذا الرجل لمدة يومين كاملين؟ ولكن في الوقت الحاضر، وبما أنها رهينة بين يديه، هل هناك خيار آخر؟

قالت محاولة المماطلة: «وماذا يتوجب عليّ أن أفعل بالضبط؟»

وضع لوك كأسه على طاولة قريبة ثم نهض ووقف قربها، فرفعت رأسها وقالت: «أأحضر حفلة واحدة فقط؟ هذا كل ما في الأمر؟» قالت ذلك بطريقة توحي بأنها تفكر جدياً بعرضه.

«أجل، ولكن حاولي أن تكوني لطيفة معي، وتصرفي بطريقة تجعلها تعتقد وكأننا مخطوبان لبعضنا البعض.» وقبل أن ترد عليه، جذبها وأمسك يديها، ولكنها أبقت يديها مسمرتين إلى جسدها.

قالت باريسا التي كانت تنوي صفعه ولكنها لم تستطع لعجزها عن الحركة: «ولكني لست بارعة في التمثيل.»

قال ساخراً مستمتعاً بالغضب الذي يظهر على وجهها: «سوف أعلمك.»

قالت غاضبة: «ماذا؟ أيها القاسي المتعجرف.» بعد ذلك لم تعد باريسا تشعر بأي شيء، فحاولت أن تفلت من بين يديه، ولكنها لم تفلح.

رفعت باريسا رأسها وحدّقت به، فوجدته يبتسم ابتسامة تهكمية باردة، وكأن شيئاً لم يحدث. لقد احتقرته، ثم عادت واحتقرت نفسها لأنها لم تستطع التغلب عليه وتحرير يديها من بين يديه.

عادت باريسا وفكرت في الموضوع، فصممت على عدم مرافقته إلى ايطاليا. أما بالنسبة لمويا فعليها أن تحل مشاكلها بنفسها، وهنا بدأت تركز تفكيرها على كيفية الخروج من هذه الشقة هرباً من هذا الرجل.

«لا تنصدمي يا حلوتي إلى هذه الدرجة، فلن تكوني مضطرة لتمثيل هذا الدور على الدوام.»

قالت باريسا بهدوء: «حسناً، لا بأس.» كانت ساقاها ترتجفان، وكان عقلها يفكر بطريقة ما للهرب، ويبدو أنها عرفت أخيراً هذه الطريقة.

«أعتقد أني سأشرب كأس العصير الذي عرضته عليّ منذ قليل، ثم نتابع مناقشة التفاصيل، ولكن قبل ذلك عليّ ان أذهب إلى الحمام.»

«أحسنت التصرف، لقد كنت مقتنعاً بأنك سوف تقبلين ما عرضته عليك، فالأمر ذو نفع متبادل.» ثم ابتسم.

تصنعت باريسا ابتسامة ردت بها على ابتسامته، ثم استدارت وكادت أن تخطىء عندما حاولت الولوج مباشرة

إلى الحمام، إلا أنها استدركت الأمر وسألته ببراءة زائفة: «أين الحمام؟»

«مباشرة عبر البهو، سوف أدلك.» فوضع يده في جيبه ورافقها في اتجاه البهو وأشار بيده الأخرى إلى الحمام.

«سوف أحضر نوعاً آخر من الشراب احتفالاً بصفقتنا.» قال ذلك برفق وهو واثق من أن وجوده في البهو سيمنع باريسا من الوصول إلى الباب الخارجي.

خلال لحظات قليلة، كانت باريسا قد دخلت الحمام وخرجت من الشباك ومنه إلى درج الحرائق الخلفي. ثم تنفست الصعداء عندما رأت سيارة مويا الفيات الزرقاء لا تزال متوقفة في مكانها. فركضت في اتجاه السيارة وفتحت بابها وصعدت إليها.

«هيا، انطلقي بسرعة.»

سألت مويا بقلق شديد: «هل حصلت عليها؟»

«هيا، هيا يا مويا، اسرعي.» وانطلقت السيارة.

بعد نصف ساعة تقريباً كانت باريسا جالسة على اريكة مريحة في شقة مويا في منطقة «كنسينغتون» وبيدها فنجان قهوة محاولة الاسترخاء.

«ارجوك يا باريسا لا تدعيني قلقة، فأنا لا أحتمل ذلك. هل حصلت على الصور؟»

نظرت باريسا إلى صديقتها الجالسة أمامها. كانت مويا متوسطة الطول، ذات شعر كستنائي طويل وعينين بنيتين واسعتين، وشخصية قريبة من مارلين مونرو. كانت تجلس على طرف الكرسي والحزن الشديد بادٍ على وجهها الجميل وظلال الأسى ظاهرة في عينيها، لقد بدت مهمومة جداً.

«أنا آسفة يا مويا، لقد فشلت المهمة.»

«ولكن كيف ذلك، فكل ما كان عليك أن تقومي به هو تسلق البناء وإحضار الصور، انك رياضية.» ثم بدأت بالبكاء: «لقد كنت أملي الأخير.»

«كنت قد حصلت عليها، ولكن لسوء الحظ أن معلوماتك لم تكن صحيحة لأن المكان لم يكن خالياً. لقد كان صديقك الإيطالي موجوداً في الشقة، وبالمناسبة، لو كنت مكانك لما سميت الرجل «بالصغير»، لقد أوقعني أرضاً من دون أي صعوبة.»

«آه، حقاً!»

«هذا ما حصل بالضبط، إن كل ما تبقى لك هو الرجاء يا صديقتي. لم يعد في إمكاني أن أفعل أي شيء بهذا الخصوص، لقد كنت مجنونة عندما وافقت على خطتك منذ البداية. وكيف اخبرتني أن اسم الرجل لويجي؟ إن اسمه لوكا دي ماغي، ولو أني كنت أعرف ذلك لما كنت اقتربت من شقته أكثر من عشرة أميال.»

أجابت مويا ونبرة الألم ظاهرة في صوتها: «لويجي، لوكا، ما الفرق في ذلك؟ حتى أنك لم تخبريني ما الذي حصل بالضبط، لا بد وأنه قال شيئاً ما.»

ببضع جمل مختصرة، وصفت باريسا لصديقتها أهم الأحداث التي صادفتها أثناء مهمتها، دون أن تتطرق إلى الجزء الذي يختص بالمرأة الأخرى.

«على كل حال، لقد رماني على السجادة وتصورت لبرهة أنه سوف يقتلني، وفي هذه اللحظة دخلت تلك المرأة. أتذكرين تينا برانكو؟»

www.elromancia.com

«أهي تلك الفتاة الإيطالية التي كانت معنا في نفس المدرسة وكنا نعتقد أن عائلتها تنتمي إلى عصابات المافيا؟ ولكن ما الذي ذكرك بها الآن، ان مستقبلي في خطر وانت...»

فقاطعتها باريسا وقالت: «إنها ابنة عمه، لقد تعرفت عليّ واعتقدت أننا اصدقاء. يبدو أن والدته سوف تقيم حفلة في الأسبوع المقبل، وقد عرض عليّ أن أرافقه إلى ايطاليا وأتصرف على أني خطيبته فيعطيني الصور مقابل ذلك.»

«حسناً، رافقيه يا باريسا، أرجوك، ان مستقبلي كله على المحك، وعليك مساعدتي، فأنا لا استطيع تحمل خسارة سيمون، وأنا متأكدة من أني سأفقده إذا ما تم نشر تلك الصور.»

«كلا يا مويا، أنا مستعدة لأن افعل لك أي شيء، ولكني لست على استعداد للذهاب إلى أي مكان مع دي ماغي. صراحة، أنا لا أفهم كيف تورطت مع انسان مثله، ان افضل حل امامك الآن هو ان تخبري سيمون بكل شيء، إنه يحبك وسوف يسامحك على ما حصل في الماضي بينك وبين صديقك، أنا متأكدة من ذلك.»

قالت مويا صارخة «صديقي؟! إنه ليس صديقي على الاطلاق. لقد التقيته مع مجموعة من الاصدقاء في النادي، وخلال الصيف الماضي ذهبت في اجازة مع نفس المجموعة إلى «نيس» وصودف أنه كان موجوداً هناك، كنا جميعاً موجودين على الشاطىء، فالتقط تلك الصور. لقد خرجت معه مرة واحدة فقط عندما كنت عائدة من الإجازة ولم يحدث بيننا أي شيء.»

«آه، حسناً، لا يوجد هناك ما يقلق، اخبري سيمون بكل ما أخبرتني به الآن وانسي أمر ذلك المحتال.»

«لا استطيع يا باريسا. إنه يحبني وأنا أحبه، وإذا ما تم نشر هذه الصور في الصحيفة فإنها ستدمر كل شيء وعائلته سوف تحتقرني. أترين؟ عليك مساعدتي، أرجوك.» ثم انحنت على باريسا وأمسكت ذراعها. «في إمكانك أن تقومي بذلك يا باريسا، فأنت في إجازة من المدرسة وكل ما عليك أن تفعليه الآن هو ان تتصلي بمدبرة منزلك وتخبريها بأنك سوف تمددين اقامتك وتذهبين معي لشراء فستان يوم الاثنين، أرجوك فليس لي أي شخص آخر ألجأ إليه.»

كانت باريسا على وشك الاستسلام لتوسلات صديقتها حتى عاودتها صورة الرجل، فنهضت عن اريكتها مقشعرة البدن على وقع الذكرى.

«كلا يا مويا، أنا آسفة، سوف استقل أول قطار في الصباح وأعود إلى بيتي قبل أن أدع فرصة لذاك الرجل بأن يمسكني، إنه يعرف عنوانك ولا أريد أن أجازف بذلك. تحدثي مع سيمون، إنه يحبك وسيتفهم الوضع، أو اتصلي بالشرطة. أما الآن فأنا أريد أن أنام.»

قالت مويا متوسلة: «أرجوك يا باريسا. ان سعادتي المستقبلية على المحك.» ثم أخذت شفتاها بالارتعاش: «لطالما ساعدنا بعضنا البعض في السابق، أتذكرين يوم أردت الخروج لحضور حفلة موسيقى البوب؟ لقد تسلقت شباك المهجع، ونزلت من على شجرة السنديان، فما كان مني إلا أن موّهت سريرك عندما أتت الآنسة كليف لتفقد مسكن الطالبات وبقيت في انتظارك على الشجرة حتى منتصف الليل لكي اساعدك على الصعود إلى المسكن ثانية.»

شعرت باريسا بذنب كبير لخذلها مويا، ولكنها لم تستطع

أن تشرح لها الخوف الذي اعتراها عندما كانت موجودة مع لوك دي ماغي. هذا عدا ذكر حادث ذاك اليوم الصيفي الذي لم تخبر تفاصيله لأحد، حتى لمويا. لقد جعلت من لوك دي ماغي غبياً وهو ليس من النوع الذي يغفر بسهولة. كانت تشعر بطريقة غريزية بأن الرجل لا ينوي لها سوى الأذى.

قالت باريسا وهي تتوجه نحو الباب: «أنا آسفة.»

قالت مويا بحزن شديد: «حسناً يا باريسا، إذا كنت لا تستطيعين القيام بذلك فلا بأس. أعتقد أنه لم يبق أمامي الآن سوى أن أكلمه، على الرغم من أن مجرد التفكير في الأمر يجعلني أحتقر نفسي.»

«ماذا؟!» قالتها باريسا صارخة وهي تدير وجهها لمواجهة صديقتها.

«لقد طلب واحداً من اثنين، إما المال وإما... وبما أن كلتانا لا نملك المال لم يتبقَ سوى...» قالت مويا ذلك بحزن، فتلعثمت بكلامها واغرورقت عيناها البنيتان بالدموع.

سبب كلام مويا صراعاً كبيراً بين عقل ومشاعر باريسا. لقد احتقرت ذلك الرجل الذي يبتز النساء، وكرهت أن تكون مويا واحدة منهن.

«إذا كنت لا تستطيعين مساعدتي، فأنا لا أملك أي خيار آخر، لأني لا استطيع أن أحتمل نظرة الاحتقار من عيني سيمون إذا ما رأى الصور فأنا لا استطيع العيش من دونه. ارجوك يا باريسا.»

«لننم الآن يا مويا، فالأمور تبدو دائماً أوضح عند الصباح.»

الفصل الثاني

شعرت باريسا بتعب شديد وهي تدخل الحمام، ثم فتحت الماء الساخن ووقفت تحت الدوش. يا لهذه الليلة المتعبة! ففي كل مرة تصغي للجانب المتهور من شخصيتها تنتهي بمأزق، ومجرد التفكير بأن تصبح لصة لم يكن بالأمر الصائب.

كانت باريسا تحب صديقتها، ولكن كان على الأخيرة ان تكون اكثر حساً بالمسؤولية. كانت باريسا قد تعرفت على مويا وهي في الرابعة عشرة من عمرها في مدرسة «برنلودج» للاناث، وكانت في مثل عمرها. كانت باريسا في تلك الفترة تعاني من فقدها لوالديها، اللذين قضيا اثناء محاولتهما عبور المحيط الأطلنطي بواسطة المنطاد. في نفس الفترة كانت ام مويا قد توفيت في حادث سيارة، اما والدها فقد كان رجلاً عصامياً يقضي كل وقته في العمل دون ان يعير ابنته اي اهتمام. فما كان منه الا ان ادخل ابنته في مدرسة داخلية. وهكذا اصبحت باريسا ومويا صديقتين حميمتين. فصارت مويا تقضي معظم عطلها المدرسية في منزل باريسا الكائن في «هاردكورت» في الوقت الذي كان والدها يقطن في منطقة «نورفوك».

بعد أن دخلت باريسا الجامعة وتخرجت، وعينت مدرسة في احدى المدارس الخاصة، بقيت على اتصال دائم مع صديقتها. وصودف ان مويا كانت مدعوة مرة لقضاء سهرة

في ضيافة باريسا، فالتقت بسيمون ووقعت في حبه من النظرة الأولى.

تنهدت باريسا وشعرت بأنها مسؤولة لدرجة ما عن صديقتها، ولكنها لم تكن تدري كيف تستطيع مساعدتها. اقفلت باريسا حنفية الماء وخرجت من الحمام بعدما جففت نفسها. ان كل ما تستطيع ان تفعله الآن هو الجدال مع لوك دي ماغي، ولكنها عادت واستبعدت الفكرة، كانت متعبة جداً وتعاني من صداع عنيف، فكل ما تريده في هذا الوقت هو النوم. مشت في اتجاه غرفة النوم ورمت المنشفة على الأرض ثم اعتلت السرير، الا ان النعاس فارق جفنيها فكلما كانت تغمض عينيها محاولة النوم، كانت تظهر لها صورة لوك دي ماغي. كان قد غاب عن تفكيرها منذ سنوات، ولكن الليلة بعد أن رأته هو وتينا، عادت كل الذكريات.

لم تتغير باريسا كثيراً منذ سن الرابعة عشرة حتى الآن من ناحية الشكل. يقارب طولها ١٧٠ سنتيمتراً، ذات شعر ذهبي وجسم ممتلىء. كانت تحب مدرستها وكانت متفوقة في الرياضة بشكل خاص، وربما اختارتها تينا لهذه الأسباب جميعاً لتنفيذ الخدعة.

كانت تينا في الثامنة عشرة من العمر وفي الصف النهائي، وفي صباح احد ايام السبت، طلبت ان تتحدث مع باريسا على انفراد سائلة إياها إذا ما كانت تستطيع ان تؤدي لها خدمة. يبدو ان صديقها كان قادماً لقضاء بعض الوقت معها في ذلك اليوم، الا ان ابن عمها كان قادماً معه ايضاً ليلعب دور المراقب للقائهما، فقامت بتخطيط حيلة لالهاء ابن عمها وابعاده عنها.

ولسذاجة باريسا، وافقت على مخطط تينا، فسمحت لها بوداعة ان تلبسها إحدى تنانيرها مع بلوزة تليق بها، وبإضافة بعض الماكياج على وجهها بدت باريسا وكأن عمرها ثمانية عشر عاماً.

قامت تينا بتدريب باريسا بتلقينها بعض الكلمات ثم قالت: «تذكري، انت في الثامنة عشرة من عمرك، في صفي ومن اعز صديقاتي، فلا تنسي ذلك اذا ما سألك لوك، اذبلي له عينيك وتحدثي معه بنفس طريقة الكبار، فيصبح رهن اشارتك، انه مولع بالشقراوات وهذا يسهل عليك مهمتك. وبما انك رئيسة فريق التجذيف، هل تحملين مفتاح مرأب القوارب؟»

ردت باريسا بسرعة بالايجاب، فقالت تينا: «حسناً، اريدك ان ترافقي لوك لمشاهدة القوارب، وبعد ان يدخل المرآب، اقفلي عليه لبعض الوقت.»

إلا ان الأمور لم تجر كما خططت لها تينا. نظرت باريسا إلى ذلك الشاب الطويل، فعرفت رغم سنها اليافع انه ليس من النوع الذي يتقبل الألاعيب. في البدء، سار كل شيء على ما يرام، فمشت برفقته عبر ضفة النهر، ولم يجد أية صعوبة في اختيار حديثهما. أخبرها انه في السادسة والعشرين من عمره، عازب ويبحث عمن يتزوجها، فردت عليه بأنها في الثامنة عشرة من عمرها، وتبحث عمن تتزوجه.

لقد كان حديثه مرحاً جداً، الأمر الذي جعلها لا تتصنع الاعجاب به، لأنها أعجبت به فعلاً. كان لوك جذاباً وغامضاً في نفس الوقت، بعد ذلك سألته عن عمله فأجاب بانه يعمل في مختلف المجالات.

بعد وصولهما إلى مرأب القوارب، اقتربت تينا من باريسا وربتت على ظهرها لتذكيرها بالمخطط. نظرت باريسا إلى لوك مبتسمة ثم اذبلت له عينيها وسألته اذا ما كان يرغب في رؤية القارب الذي تقوده برفقة أربع طالبات اخريات.

فرد عليها مداعباً: «سوف اكون سعيداً برؤية اهتماماتك.»

استدارت باريسا وفتحت الباب، كانت تنوي ان تتنحى جانباً لتسمح له بالدخول اولاً، ولكنه اغدق عليها بأدبه، فأمسك يدها ورافقها إلى الداخل.

في هذه الأثناء، حضرت تينا واقفلت القفل فحبستهما معاً في الداخل. كان الضوء خافتاً في داخل المرأب، فأخذ لوك ينظر الى القوارب متفحصاً. ولدهشتها الكبيرة، حوّل نظره باتجاهها وبدأ يتأملها بهدوء.

تململت باريسا في سريرها، فبعد عشر سنوات استطاعت ان تتذكر كل نظرة وكل كلمة قالها لها.

قال لوك مغازلاً: «كم أنت جميلة. لما كنت استطعت الحصول على مكان افضل للقائنا، لو كنت قد خططت لذلك بنفسي.»

ما زالت باريسا تشعر بالخوف والاهانة كلما استذكرت تلك اللحظات. كانت تعتقد انها نسيت كل ما حصل في الماضي، ولكن عادت إليها كل تلك الذكريات بعد أن شاهدته هذه الليلة.

صرخت باريسا: «كلا...» وحاولت ان تبعده عنها الا انه امسكها باحكام وبغضب.

«كلا! كيف تجرؤين على رفضي، لقد كنت طوال فترة الظهيرة تحاولين استدراجي لهذا الأمر.»

ذعرت باريسا وتمكنت من الافلات من بين براثنه ثم اجهشت بالبكاء لشعورها بالمذلة.

في تلك اللحظة، فتح باب المرأب وشعرت باريسا بحالة من الرعب تعتريها عندما شاهدت استاذة الرياضة تدخل الى المكان. نظرت الآنسة شبلاي اليهما وطلبت شرح ما يجري.

أخبرها لوك دي ماغي، الذي كان يتحكم بأعصابه بشكل كبير بانه ابن عم تينا، وقد اتى لزيارتها هذا اليوم، فعرضت عليه باريسا مرافقته لرؤية القوارب وفجأة أقفل الباب خلفهما، اما سبب بكاء باريسا فهو خوفها من الظلام.

وجهت الآنسة شبلاي كلامها الى باريسا قائلة: «هل ما قاله صحيح يا فتاة؟» فردت عليها بالايجاب.

«حسناً، اعتقد انه لا يوجد اي مانع لذلك.» ثم اضافت: «ولكن بما انك رجل ناضج ما كان يجدر بك اختيار طفلة عمرها اربعة عشر عاماً لمرافقتك. بل كان عليك مرافقة ابنة عمك تينا فتتجول معك بدل ازعاج الليدي باريسا هاردكورت بلمونت». كانت نبرة الازدراء في صوت الآنسة شبلاي واضحة وقاسية.

ردّ لوك دي ماغي متعجباً: «أربعة عشر عاماً؟!» شحب وجهه الوسيم وركز بصره المرتاب على طول وجسد باريسا الممتلىء.

تقلبت باريسا في سريرها، فحتى الآن لا تعرف سبب تجاهل الآنسة شبلاي لما رأت، وحسب ظن باريسا هناك

احتمالان: الاحتمال الأول هو انها حاولت تفادي احراج الفتاة اليافعة، والاحتمال الثاني، وهو المرجح، هو انه كان سيجري في اليوم التالي سباق بطولة المدارس في التجذيف، وبما ان باريسا كانت نجمة في هذا النوع من الرياضة، تجاهلت الآنسة شبلاي الأمر ولم تعاقبها.

تثاءبت باريسا في سريرها، فرفعت الملاءة وقربتها من ذقنها. لقد مضت تلك الذكريات ولم تعد لها أية قيمة، ونظراً لما حدث في الماضي، لم تستغرب ان يصبح لوك نصاباً. ان صورته محفورة في ذاكرتها على انه انسان عديم الرحمة.

في تلك اللحظة، سمعت باريسا نحيب مويا في الغرفة المجاورة، فأصغت لذاك الصوت الحزين، وادركت انه لا يوجد امامها اي خيار آخر سوى الموافقة على مرافقة لوك دي ماغي إلى ايطاليا. ما كانت باريسا لتقبل بأن تكون سبباً في تدمير سعادة صديقتها خاصة وان بيدها مفتاح الحل.

أيمكن ان يكون الأمر رهيباً إلى هذه الدرجة؟ وما المشكلة في قضاء يومين في ايطاليا مع عائلة لوك دي ماغي؟ قالت متسائلة، فهي لم تعد الآن فتاة يافعة بل امرأة ناضجة عمرها اربعة وعشرون عاماً وذات مركز اجتماعي مهم. اما بالنسبة إلى لوك دي ماغي، فلن يكون سمجاً في منزل والدته. ولم يفعل ذلك؟ فصديقته الجميلة مارغوت ماي تكفيه.

في صبيحة اليوم التالي، وبينما كانت باريسا جالسة في المطبخ لاحتساء فنجان من القهوة، أخذت تتفحص وجه مويا الحزين وعينيها الشاحبتين، ثم قالت: «حسناً يا مويا، سوف اقوم بذلك، اعطني رقم هاتف الرجل وسوف اتصل

به.» تفوهت باريسا بهذه الكلمات بصوت مخنوق ومتلعثم.

قالت مويا بسعادة: «أحسنت يا حبيبتي، لقد كنت واثقة من انني يمكنني الاعتماد عليك.» والابتسامة تظهر على وجهها الشاحب.

بعد أن خلصت نفسها من بين ذراعي مويا، عادت باريسا وكررت: «اعطني الرقم.»

«إني لا أعرف الرقم، لا يهم، فسيمون سوف يصل بعد قليل.» ثم تابعت كلامها بنبرة حب: «نحن ذاهبان لشراء خاتمي الخطبة، تعالي معنا لنوصلك إلى منطقة ماي فاير، أما سيمون فنخبره بأنك ذاهبة لزيارة صديقة، وهكذا تتحدثين مع الرجل شخصياً.» وبنبرة شاكرة اضافت: «أشكرك يا باريسا، لقد انقذت حياتي لأني ما كنت لأحتمل خسارة سيمون، فأنا احبه جداً.»

كم كرهت باريسا فكرة الصفقة ولكنها لم تعد تستطيع ان تبدل رأيها بعد رؤية الارتياح الذي بدا على وجه صديقتها.

وهكذا، في تمام الساعة التاسعة والنصف صباحاً، كانت تقف على مدخل بناء سبق لها ان زارته من قبل. وبطريقة مترددة ضغطت على جرس شقة الطابق الثالث متمنية لو انها كانت موجودة في اي مكان آخر في العالم غير هذا المكان.

قال بصوت مزمجر عبر جهاز الهاتف الداخلي: «نعم، من هناك؟»

اجابت بصوت اجش: «باريسا.»

«لا تتحركي... اصعدي مباشرة.»

دفعت باريسا البوابة ودخلت المدخل الرئيسي وبدأت

بصعود الدرج، وما ان وصلت إلى الطبقة الأولى من البناء حتى ظهر لها لوك دي ماغي، فتوقفت خائفة من وقع الصدمة.

بدا وكأنه استيقظ لتوه من النوم، كان يرتدي قميصاً قطنياً وبنطلون جينز. ابتلعت باريسا ريقها بصعوبة، وقبل ان تتفوه بأية كلمة اقترب منها وامسك ذراعها بقبضته الفولاذية.

«ما الذي فعلتيه يا باريسا؟ لا بد انك مجنونة، فخروجك من الشباك ونزولك عبر درج الحرائق الخلفي هو عمل طائش، كان يمكن ان تقعي وتكسري رقبتك الجميلة، يا لك من غبية.»

كان لوك غاضباً جداً، فسلط عينيه السوداوين على عينيها الزرقاوين بطريقة جعلتها ترتعش من الخوف، فكانت نظرته توحي بأنه يبغي معاقبتها.

قالت باريسا مستهزئة: «أنا في أحسن حال، ما القصة يا لوك، أكنت خائفاً ان يتم القبض عليك بسبب القتل بدل الابتزاز؟» محاولة ان تشعره باحتقارها له.

شد لوك يده قليلاً على ذراع باريسا ثم عاد واعتقها في الوقت الذي كان يركز بصره على وجهها الجميل.

«كلا يا باريسا، لست خائفاً من أي شيء ولا من اي أحد، ومن الأفضل لك أن تكوني اكثر حكمة خلال مخاطبتك لي، فهناك اشياء كثيرة سوف استفيد منها بواسطتك يا سيدتي الصغيرة. ففي الأمس وفي خلال عشر دقائق، اعدت إليّ ذكريات عشر سنين خلت.»

اتسعت عينا باريسا الزرقاوان من الدهشة، وشعرت

لبرهة باهتمامه الزائد بها وذلك قبل أن يغمض عينيه في محاولة منه لاخفاء تعبيرهما.

«إذاً، كنت تنوين مساعدة صديقتك، وهذا ما اعتقد انك اتيت من اجله، اتبعيني...» قال ذلك بلهجة آمرة.

تبعته على مضض صاعدة الدرج، وهي تتمنى لو انها تحمل سكيناً لتغرزه بين كتفيه، ولكنها على الرغم من هذا الشعور لم تستطع الا ان تعجب بوسامته ومشيته المميزة. ما الذي يجري لها؟ فهي لم يسبق لها أن اهتمت بمظاهر الرجال الخارجية من قبل. لقد كانت تائهة في تفكيرها لدرجة انها تقدمت ودفعت لوك من ظهره وادخلته إلى شقته.

«يا لهذه العجلة، لقد غمرتني بلطفك.» ثم استدار وامسك بذراعها جانباً إياها إلى داخل الشقة ومضيفاً: «أم انك فعلت ذلك خوفاً من ان يراك احد معي، أنا النذل السيىء السمعة؟»

بعد أن وطأت قدما باريسا ارض تلك الشقة للمرة الثانية، نظرت اليه باشمئزاز، فهي لم تعتد ان تجذب من قبل اي رجل بهذه الطريقة وشعرت بأنه يهزأ منها. وبعد ان استعادت باريسا سيطرتها على نفسها، اجابته في محاولة منها لرد الاهانة: «إن الخطبة بيننا لمجرد يومين، شيء لا يشرف اي امرأة، لأنه يسيء الى سمعتها.»

قال ساخراً: «آه، الآن عرفت سبب زيارتك غير المتوقعة، يبدو انك ندمت على مغادرتك المتسرعة الليلة الماضية، وقررت قبول العرض، اليس كذلك؟»

اجابت متمتمة وكارهة الاعتراف بالهزيمة: «تقريباً.»

«حسناً، فلنناقش الموضوع ونحن نحتسي فنجاناً من القهوة.» ثم أضاف آمراً: «اتبعيني.»

إذا ما عاد الحقير وامرها بأن تتبعه فانها سوف تقتله، قالت باريسا بينها وبين نفسها، ولكنها عادت وتبعته إلى المطبخ.

«اجلسي يا باريسا، بينما اصنع القهوة.»

«أليس من الأفضل ان تنهي ارتداء ثيابك اولاً.»

قال مازحاً: «تقبلي اعتذاري. ولكنّني لم انم الا عند الفجر، ولعل سبب ذلك هو اني قضيت معظم الليل وأنا قلق على الليدي باريسا.»

يا له من كاذب، فطبيعة عمله تفرض عليه ان يقضي الليل ساهراً حتى الصباح. اشاحت باريسا برأسها وقررت عدم الرد على سخريته حتى ولو ادى ذلك الى اختناقها من الكلمات التي لم تكن تستطيع كبتها. ثم كزت على اسنانها وقالت بحنق: «ولكن باريسا على أحسن ما يرام.» عادت باريسا وتذكرت صديقتها مويا وحفلة الزفاف، وقررت ان تتصرف بطريقة لبقة مع الرجل، كما حاولت اقناع نفسها بأن الوقت الذي ستقضيه معه هو يومان فقط وليس العمر كله، كما ان رحلة مجانية الى ايطاليا ليست بالأمر السيىء، وهي لا تستطيع تحمل نفقات رحلة إلى خارج بريطانيا من جيبها الخاص، أما بالنسبة لصديقها ديفيد، الذي كان يعمل مدرساً معها في نفس المدرسة، فان فكرته المفضلة لقضاء عطلة كانت التخييم مع الكشافة. عبست باريسا قليلاً ثم عادت وتناست امر ديفيد.

انتفضت باريسا على كرسيها عندما رأت يداً ضخمة

تضع فنجاناً من القهوة امامها على الطاولة، فرفعت رأسها لتجد لوك جالساً في مواجهتها على نفس الطاولة حاملاً في اليد الأولى فنجاناً من القهوة وممسكاً باليد الثانية نقنه.

بعد أن تناول رشفة من قهوته الساخنة وجه كلامه الى باريسا في محاولة منه لبدء حديث معها.

«إن باريسا اسم غريب، فكيف سميت بهذا الأسم؟»

ركزت باريسا بصرها على حنجرة لوك وراقبت حلقه وهو يتحرك خلال ابتلاع القهوة، ثم اخذت رشفة من فنجانها واجابت:

«لقد سافر والداي مرة في رحلة تنقيب عن الآثار إلى الشرق، وهناك سمعا بهذا الاسم واعجبا به، يظهر انه اسم شرقي ويعني، ذات الشكل الجميل.»

«انه يناسبك تماماً، انك امرأة رائعة الجمال، تماماً كما كنت طفلة رائعة الجمال.»

شعرت باريسا بالارتباك عندما سمعت اطراءه المفرط، فأدارت رأسها وتفادت النظر إلى وجهه.

«أخجلت؟ انك تدهشينني يا باريسا.» ثم مد يده ومرر اصبعه على خدها واضاف برقة بالغة: «اني اتذكرك عندما كنت في الثامنة عشرة، لا بل في الرابعة عشرة من عمرك، اليس كذلك؟»

أحست باريسا بحرارة اصبعه، فأجفلت وتراجعت، ثم عادت وحدقت بوجهه الوسيم البسام، كانت نظرة لوك المتفحصة ذات تأثير عليها مما ادى إلى شعورها بالخجل.

قالت هامسة: «حسناً، الام ترمي؟»

«ربما كنت تكذبين علي في ذلك الوقت ولكنك كنت عاطفية جداً، فبعض الأمور لا يمكن تصنعها ابداً.»

قالت بغضب شديد: «ان كلامك غير صحيح على الاطلاق، لقد كانت ابنة عمك هي سبب اقحامي في تلك الخدعة.» فهي ما كانت لتقبل بأن تنعت «بالكاذبة» خصوصاً من قبل محتال مثله، أما بالنسبة لطبيعتها العاطفية، فهي لم تكن تملك هذه الصفة.

«ربما، ولكن لم تكن تينا هي من ينظر إلي بشغف، ولم تكن تينا برفقتي، بل أنت يا باريسا، وهذا ما جعلني ادهش عندما رأيتك تخجلين الآن، لا بد انك تعرفت على الكثير من الرجال منذ ذلك الوقت وتعاملت معهم بنفس الطريقة التي عاملتني بها حينذاك.»

قالت فاقدة اعصابها: «ماذا؟! انك تهينني بـ...»

فقاطعها لوك محاولاً استرضاءها: «ما بك يا باريسا، انني امازحك لا أكثر، انك تقعين بسرعة في الفخ.»

«حسناً، فلنتوقف عن الحديث حول الماضي.» قالت باريسا هذا الكلام في محاولةٍ منها لاعادة مسار الحديث الى موضوع مويا.

«انني اهوى التحدث عن الأيام الغابرة. خاصة وانها ذات معانٍ فريدة من نوعها. تصوري ان يضبط شاب في السادسة والعشرين من عمره وهو يجلس مع طالبة يافعة! لقد كانت من أحرج اللحظات التي مرت في حياتي لطالما كنت متشوقاً لمعرفة ما حدث لك بعد ذلك، لا بد وان المعلمة قد عاقبتك.»

«لا، لا. لم تفعل.» ثم أخذت باريسا رشفة من فنجانها بعد

أن شعرت بأن الحديث عن الماضي ليس بالأمر المؤلم، ثم ابتسمت، انها ذكريات مضحكة حقاً.

«لم تفعل لك أي شيء بعد كل ما رأته! لا بد وانها قالت لك شيئاً ما. لقد تضايقت في بادىء الأمر لأني شعرت بأني خدعت من قبل طفلة، ولكني عدت وشعرت بالذنب عندما تخيلتك وانت تبعدين عن الدراسة لبقية الفصل وتحرمين من كل الامتيازات التي كنت حاصلة عليها.»

أجابت باريسا: «لقد حدث العكس تماماً.» ان شعور الألم الذي احس به اعطى باريسا بعض الطمأنينة، فلم تناقشه في هذا الأمر. وتابعت:

«لقد كنت نجمة بالنسبة للآنسة شبلاي في فريق التجذيف، وكانت بطولة المدارس في التجذيف على وشك الافتتاح، فلم تبلغ مدير المدرسة بما حدث، لأنها لو فعلت ذلك تكون قد خسرت أفضل مجذفة في الفريق.»

«لم اكن اعرف أنك حقاً تجيدين التجذيف. لقد كنت اعتقد ان كلامك هو مجرد تباهٍ.»

«ماذا تقول؟ لقد كنت انا من الف الفريق الأولمبي وذلك خلال دراستي في الجامعة.» قالت ذلك بفخر شديد متناسية الى من توجه كلامها: «كما انني كنت بطلة البلاد في التجذيف الانفرادي عندما كنت في التاسعة عشرة من عمري.»

«وهل ربحت اي ميدالية في الاولمبياد؟»

قالت متنهدة: «كلا.» فهذا الأمر هو أكثر ما ندمت عليه في حياتها: «لأنني لم اشترك في التجذيف.» ثم سيطرت مسحة من الألم على عينيها الجميلتين.

«دعيني أحزر سبب ذلك. لا بد وانك تسللت من القرية الأولمبية في وقت كان يمنع فيه التجول، وهكذا منعت من الاشتراك.»

ابتسم لوك محاولاً تشجيعها على الابتسام، ودون ان تشعر، وجدت نفسها تخبره حقيقة ما حصل.

«ليس بالضبط، لقد كنت في ذلك الوقت قد تعرفت إلى شاب هولندي يدعى جان، وكان يهوى اللعب على الرفاس النطاط، وهي لعبة لطالما احببت ممارستها، وكان من سوء حظي اني وقعت وكسرت ساقي.»

ولدهشة باريسا، احنى لوك رأسه إلى الخلف وشرع بالضحك، ولكن ما المضحك في الأمر؟ قالت بينها وبين نفسها بغضب.

لقد تلاشى الجو الهادىء الذي كان سائداً بينهما منذ دقائق وحل محله الغضب والحنق.

«ان الأمر ليس بالمضحك، لقد كنت منهارة تماماً.»

«صحيح، صحيح، بالطبع.» قال لوك ذلك محاولاً وقف ضحكه وتابع: «ماذا حدث لصديقك؟ هل ربح اي ميدالية؟»

«لا، لأني كنت قد حطمت رفاسه المفضل.»

قررت باريسا في هذه اللحظة ان تصب القهوة على وجهه اذا ما عاد وضحك ثانية. كان عليها ان تعرف كيف يمكن ان تكون ردة فعل رجل مثله على مثل هذه الاحداث. فكيف يمكن لنذل مثل لوك دي ماغي ان يقدر التعب والجهد الذي بذلته للوصول الى الألعاب الأولمبية؟ فمحتال مثله يستطيع ان يحصل على كل ما يريد بالطرق الملتوية.

«إن هذا الأمر لم يحدث إلا لك يا باريسا.» ثم هز رأسه

وتابع كلامه ضاحكاً: «لقد حطمت الرفاس... ها... ها.»

وقف لوك منتصباً ثم فرك ذقنه وقال: «يجب ان احلق ذقني.» وخرج من المطبخ.

لا بد وان هذا الرجل غير طبيعي، قالت باريسا في نفسها بعد ان سمعت قهقهته المنبعثة من الحمام. بعد ذلك شعرت بدافع يحثها على النهوض والخروج من ذلك المكان. فنهضت، ولكن ليس إلى الخارج، بل إلى البهو، لقد كانت على وشك الخروج، ولم يمنعها من ذلك سوى صدى نحيب مويا الذي لا يزال يرن في أذنيها، لقد وعدتها بأن تقبل العرض وتصمد حتى النهاية، ولكن كيف السبيل إلى ذلك؟

نظرت باريسا إلى باب غرفة الجلوس، فكان مفتوحاً على مصراعيه، ثم اصغت فسمعت صوت الماء الجاري في الحمام، فأيقنت ان لوك لا يزال مشغولاً.

وبهدوء شديد دخلت الغرفة وتوجهت نحو الطاولة وفتحت الدُرج بحذر، لمعت عينا باريسا بعلامة النصر بعد ان رأت مظروف الصور وبحذر شديد، التقطت المظروف ومشت على رؤوس اصابعها في اتجاه الرواق، ومنه الى الباب الخارجي وابتسامة الرضى ترتسم على ثغرها. لقد كان الأمر سهلاً جداً.

ادارت باريسا مسكة الباب النحاسية وهي غير مصدقة حظها الرائع.

يا لحظي السيء! قالت وهي تلتقط انفاسها، ثم ادارت المسكة في الاتجاه المعاكس.

«أعتقد انك سوف تحتاجين إلى هذا...»

استدارت باريسا بهدوء، فرأت لوك واقفاً مستنداً إلى

www.elromancia.com

الحائط ومادأ ذراعه والمفتاح يتدلى من بين اصابعه الطويلة. نظرت اليه وشعرت بأن كل المعنويات المرتفعة التي كانت تشعر بها منذ لحظات قد تلاشت، وأحست بقشعريرة تعتري جسدها. تذكرت باريسا ان هذا الرجل ليس سوى مجرم قد لا يتوانى عن قتلها ليحصل على ما يريد.

لقد جردها من كل اسرارها بحديثه الودود خلال احتسائهما القهوة، وقد كان في كل تحركاته يسبقها في التنقل في ارجاء المنزل، لا بد وانه اغلق الباب وسحب منه المفتاح بعد وصولهما مباشرة، لقد بدا الآن كحيوان هائج مستعد للانقضاض في اية لحظة.

نظر لوك بغضب الى باريسا التي كانت ترتعش من الخوف، ثم اقترب منها وهو يحدق بالمظروف الذي كانت تحمله.

«إذن، ما زلت تحاولين السرقة.» قال ذلك في الوقت الذي كان يضع فيه المفتاح في جيبه: «وكما افترض، فان تلك السيارة في انتظارك مرة ثانية في الشارع الخلفي.»

«ان افتراضك غير صحيح.» أجابت باريسا مرتعشة الصوت. فالتقط بيده الأولى رسغها وسحب بالثانية مظروف الصور من بين اصابعها المرتجفة.

«انها ملكي على ما اعتقد.» وحرك فمه باستهزاء بينما كان يرمي بالصور برعونة على الطاولة وأضاف: «إلا اذا كنت تشعرين بانها اصبحت ملكك يا باريسا.» ثم امسك بذقنها وأدار رأسها مجبراً اياها على النظر إلى وجهه.

كانت باريسا مرتعبة وغاضبة في نفس الوقت، ولكنها

كانت تكافح من أجل عدم اظهار ذلك، لقد كانت على وشك ان تنجح في تمالكها لنفسها، ولكنها فشلت في ذلك بعد ان اقترب بجسده الضخم منها فشمت شذا عطره. حاولت الابتعاد، فما كان منه الا ان ضغط باصابعه على ذقنها.

«انك تقرفني، لقد اخبرتني مويا عن مطالبك، اما المال واما... ولكنك لا تخيفني، يا لك من حقير.» قالت ذلك بغضب بعد ان زاد خوفها.

نظر اليها بصمت ثم ترك رسغها دون ان يترك ذقنها.

«نعم، ان الأمر يستحق هذا العناء، على الرغم من ان معظم النساء يتمنين ان اطلب منهن ذلك.»

قالت باريسا بحنق: «يا لك من مغرور.»

«هذا يكفي يا باريسا، فأنا لم أعد أحتمل المزيد من اهاناتك. اما ان ترافقيني الى ايطاليا يوم الاثنين او ابعث بالصور الى الصحف. ان القرار عائد لك. واؤكد لك أني لن احاول التحرش بك، أو مضايقتك.» ثم ارخى يده من على ذقنها وتراجع إلى الوراء خالي الوجه من اي تعبير.

«اني جائع، في امكانك اخباري قرارك النهائي ونحن نتناول طعام الفطور، خذي وقتك.» ثم أدار إليها ظهره والتقط الصور متوجهاً الى غرفته.

راقبته باريسا وهو يغادرها بعبسة غضب. فهي لم تعرف ما اذا كان عليها ان تفرح او ان تشعر بالاهانة لعدم اهتمامه بها.

قال بغير اهتمام: «هل أنت جاهزة للذهاب؟»

لاحظت باريسا مدى غضب لوك من خلال مراقبتها له وهو يرتدي معطفه فلم تستطع منع نفسها من الكلام.

www.elromancia.com

«كنت احسب انك تريد تناول طعام الفطور.»

«صحيح، ولهذا نحن ذاهبان.»

«ألا تستطيع ان تحضر طعامك في المنزل؟»

«اذا كنت تنوين فعل ذلك اكون لك من الشاكرين.» ثم ابتسم، فقفز قلب باريسا من مكانه من الفرح بعد ان رأت الابتسامة تعود الى وجهه الوسيم. لقد تذكرت باريسا المرة الأولى التي رأته فيها مبتسماً في تلك الأيام الخوالي.

قال متأسفاً: «ولكن لا يوجد طعام في الشقة.»

بعد نصف ساعة تقريباً، كان الاثنان جالسين إلى مائدة انيقة في أحد أفخم مطاعم لندن، نظرت باريسا إلى لوك مندهشة في الوقت الذي كان يطلب فيه فطوراً انكليزياً كاملاً مؤلفاً من اللحم، البيض، النقانق، الفطر، الطماطم، والخبز المحمص. رشفت باريسا رشفة من فنجان قهوتها الخامس في ذلك الصباح وعادت للتفكير بابتسامته الدافئة. إنه غريب الأطوار، ففي لحظة واحدة يمكن ان يتحول من الشراسة الى الابتسام مما يشعرها بانه صديق وفيّ.

«هل قررت؟»

غصت باريسا بقهوتها، ونظرت اليه.

«كيف يمكنك ان تأكل كل هذا الطعام في الصباح؟» قالت ذلك مستفسرة في محاولة منها لتغيير الحديث.

«هذا سهل جداً، فكما تلاحظين، أنا رجل ضخم ولدي شهية جيدة...» ثم ابتسم ابتسامة سطحية.

«الآن اجيبي عن سؤالي.» قال ذلك آمراً وعيناه تحدقان بوجهها. ان عليها مرافقته إلى ايطاليا، تماماً كما سبق لها ووعدت مويا، ولكن بما انها جالسة برفقته

في أحد المطاعم الفخمة، سوف تحاول ولو لمرة واحدة ان تتقرب من الجانب الطيب في شخصية لوك الجذاب، المسترخي.

«لوك، اني لا أصدق انك في حاجة إلى المال لدرجة ان تفسخ خطوبة مويا وتدمر حياتها من اجل هذا الشيء البغيض. انها مغرمة جداً بسيمون، لقد اوصلاني الى منزلك هذا الصباح ثم تابعا طريقهما لشراء خاتمي الزواج، ثم لِمَ لا تعطيني الصور وتنسى الموضوع؟ ولو لهذه المرة فقط.»

راقبت باريسا وجهه الوسيم آملة ان يتقبل الفكرة، ولكن بدل ذلك عبس وجهه وقطب حاجبيه.

قال ساخراً: «ولو لهذه المرة فقط! وهل يجب عليك ان تمدحيني وتستغلي شكلك الجذاب بالنسبة لي لكي اعطيك الصور؟ وماذا افعل بالنسبة لضحاياي الآخرين؟ ألا يستحقون بعض هذه الشفقة؟»

«أنا لا يهمني الآخرون يا لوك، فاذا نسيت موضوع مويا، أعدك بأن لا أخبر أحداً عن عملك.»

قال متهكماً: «لقد أرحتني قليلاً، ولكني غير موافق، ان كل ما أريد أن اعرفه الآن هو نعم أم لا.»

نظرت باريسا اليه نظرة ثاقبة وفتحت عينيها الزرقاوين محدقة بعينيه وقالت: «نعم، تباً لك! سوف اذهب معك الى ايطاليا ولمدة يومين فقط وسوف ادعي بأني خطيبتك، أما يوم الأربعاء فعليك ان تسلمني تلك الصور.»

نهضت باريسا شاعرة بأنها اخطأت عندما حاولت التقرب من الجانب الطيب لشخصية لوك، لأن هذا الجانب غير موجود.

www.elromancia.com

«أحسنت. في هذه الحال يجب ان نحذو حذو صديقتك ونذهب لشراء الخاتم.»

أمسك بيدها وقادها إلى خارج المطعم. دهشت باريسا عندما رأت سيارة ليموزين سوداء ضخمة مع سائقها الخاص متوقفة في انتظارهما على مدخل المطعم.

«صباح الخير سيد دي ماغي، لقد سررت لرؤيتك ثانية.» هذا ما قاله السائق الذي يرتدي زيه الخاص مرحباً، ثم فتح لهما الباب الخلفي.

«صباح الخير يا جونسون.»

وقفت باريسا فاغرة فاها لدهشتها، فدعاها لوك إلى دخول السيارة، لم تستطع ان تفهم ما يجري حولها، فلقد كانا قد استقلا سيارة اجرة لكي يذهبا إلى المطعم.

«من فضلك يا جونسون، خذنا إلى سوق الصاغة.» قال لوك آمراً ومغلقاً الزجاج الذي يفصل بين السائق والمقعد الخلفي ثم استقر في جلسته على المقعد الجلدي.

«من الذي قال ان العمل الاجرامي لا يطعم خبزاً؟» قالت باريسا تلك مذهولة وفاتحة عينيها من الدهشة.

نظر اليها لوك نظرة جانبية وقال: «استأجر سيارة ليموزين دائماً عندما اكون في لندن. فمن الصعب ان يحصل الانسان على موقف ليركن فيه سيارته الخاصة. ولكن قبل ان نصل إلى أي مكان اريدك ان تتوقفي عن مناداتي بالمجرم في الأيام القليلة القادمة، فبالنسبة لعائلتي واصدقائي أنا رجل اعمال.»

يا له من عمل! قالت في نفسها، ثم نظرت إلى وجهه وقررت الاحتفاظ برأيها لنفسها.

«وهل من الضروري ان نشتري خاتماً؟ فأنا لا أملك متسعاً من الوقت لأقوم بذلك وعلي ان أعود إلى بيتي واخبر...» لقد كانت على وشك ان تقول مدبرة منزلي. ولكنها استدركت الأمر في الوقت المناسب: «علي ان اوضب حقيبتي...» محاولة تصحيح الخطأ الذي كادت ان تقع فيه. ثم نظرت من الشباك فلاحظت ان السيارة قد توقفت جانباً.

«نعم، ان الخاتم ضروري، ولا تقلقي، فسوف اوصلك الى المنزل بعد ان ننتهي، ثم تخبرينني من اين اقلك صباح يوم الاثنين. من سوء الحظ ان لدي عملاً هذه الليلة ويوم غد وعلي ان التزم به، لو لم يكن الأمر كذلك لكنا أمضينا بعض الوقت معاً نتمرن على تمثيل دورنا.» ثم لمعت عيناه مرسلة رسالة إلى باريسا التي تجاهلت الأمر. لقد تذكرت صورة لوك ومارغوت ماي وهما يتجادلان في المنزل، فحركت شفتيها بابتسامة ساخرة، فقد عرفت تماماً ما هو العمل الذي يجب عليه الالتزام به.

دخلت باريسا إلى محل الصائغ، فما كان منه الا ان حيا لوك بابتسامة عريضة.

«لقد عدت بسرعة يا سيد دي ماغي، هل كان ثمة خطب في السوار الذي اشتريته البارحة؟»

كادت باريسا ان تضحك بصوت عال. فلقد أجبرت على الذهاب إلى ايطاليا من أجل صديقتها، ولكنها لاحظت الآن انه لا يوجد ما يخيفها من لوك دي ماغي الذي ابتسم بظرافة واجاب: «لا، فالسوار رائع وأنا متأكد من أن السيدة سوف تعجب به. لقد اتيت اليوم من أجل شراء خاتمين.»

نظر الصائغ إلى باريسا بطريقة معتذرة، فدفعها حسها

النسائي، او لنقل كبرياؤها الأنثوية إلى القول: «أريد أن أرى اجمل واضخم مجموعة خواتم مزيفة لديك.» لقد ارادت ان تتصرف كالفتيات الوقحات لترى ردة فعله.

نظر الرجل إلى لوك وبعد أن تبادل معه بضع كلمات بالايطالية، هز لوك رأسه علامة الموافقة، فاختفى الرجل وعاد بعد دقائق ومعه علبة مليئة بالخواتم.

اختارت باريسا اكبر خاتم. لقد كان خاتماً ضخماً ذا لون مائل الى الزرقة لدرجة بدا فيها وكأنه حقيقي. وضعت باريسا الخاتم في اصبعها فناسبه بشكل رائع.

«لقد اعجبني هذا الخاتم يا حبيبي لوك.» ثم نظرت إلى مرافقها وابتسمت ابتسامة مصطنعة.

«هل أنت متأكدة يا باريسا؟ فهناك تشكيلة واسعة.» قال ذلك لوك وعيناه تتأججان بالغضب المكبوت.

«أنا متأكدة يا عزيزي.» أجابت متصنعة الابتسامة وسعيدة بما تقوم به. ولكن بعد عشر دقائق وخلال وجودها في السيارة بجانب غريب مهان، كم تمنت لو انها لم تحاول الايقاع به.

بعد ذلك توقفت السيارة جانباً، فنزل السائق وفتح باب باريسا التي نظرت إلى لوك.

قال لوك:«حسناً، يوم الاثنين الساعة العاشرة صباحاً اذن، ولا تنسي الخاتم.»

اجابت متمتمة: «بالتأكيد.»

الفصل الثالث

دخلت باريسا الشقة بعد ان فتحت بابها بواسطة المفتاح الذي زودتها به مويا، كانت شقة صغيرة في منطقة كينسنغتون ثم توجهت مباشرة إلى الهاتف وطلبت سيارة أجرة لتقلّها إلى محطة السكة الحديدية. لقد استطاعت ان تخدع لوك دي ماغي وتجعله يعتقد بأنها تسكن مع مويا في نفس الشقة في لندن. بهذه الطريقة استطاعت تضليل لوك عن مكان سكناها الحقيقي في حال حدوث ما يريب. كانت مويا تنوي ترك شقتها للسكنى مع والدها في نورفوك ثم تعود بعد الزواج لتستقر في ساسيكس. وفي حال استطاعت باريسا الصمود في الأيام القليلة القادمة واستعادت الصور فإن كل شيء سيسير على ما يرام. لقد استغرقها الأمر بضع دقائق لتوضيب حقيبتها، ثم كتبت ملاحظة لمويا مؤكدة لها فيها ان كل شيء يسير على ما يرام، ومخبرة إياها بأن تتوقع عودتها عشية يوم الأحد، ثم غادرت الشقة.

بعد ثلاث ساعات تقريباً تنهدت باريسا تنهيدة ارتياح بعد ان وصلت إلى قصر هاردكورت، فترجّلت من السيارة ودفعت الأجرة للسائق، ثم دخلت إلى القصر عبر بوابة المدخل الضخمة.

صعدت باريسا الدرج إلى البيت ورمت حقيبتها على الطاولة.

قالت بصوت عالٍ: «ديدي، عزيزتي لقد عدت.»

وعلى الفور حضرت سيدة حانية الظهر ذات شعر رمادي قادمة من الفناء الخلفي للمنزل.

«لا داعي للصراخ، فأنا لست صمّاء يا طفلتي.»

ضحكت باريسا بصوت عالٍ وضمت المرأة الواهنة: «أنا آسفة يا ديدي، ولكني سعيدة بعودتي إلى البيت.»

«ولكنك لم تتغيبي سوى ليلة واحدة. إن من غير العدل أن تمكث امرأة جميلة وشابة مثلك نفسها في الريف. كان عليك ان تقضي وقتاً أطول في لندن وتتمتعي بوقتك، أما أنا وجو فبخير ولا ينقصنا أي شيء.»

«أعرف ذلك يا ديدي ووفري عليّ هذه المحاضرة، فلدي موعد عشاء مع ديفيد هذه الليلة وسوف أعود إلى لندن يوم غد، فأتغيب بضعة أيام في إجازة. لقد استُجيبت أمنيتك، فهل أنت راضية الآن؟»

«بالتأكيد، ولكن ما هذا؟» ثم أمسكت يد باريسا ونظرت إلى الخاتم الضخم، فارتبكت وسحبت يدها.

«إنه لا شيء، لقد اشتريته للتسلية.»

«آه، للتسلية! ان على فتاة جميلة مثلك ان تتزوج وبذلك يشتري لها زوجها المجوهرات، فأنا لا أستطيع أن أصدق ان ديفيد براون يستطيع ان يؤمن متطلباتك.»

«أرجوك يا ديدي، لا تبدأي بهذا الآن.» لم يكن ديفيد مناسباً للزواج من باريسا حسب وجهة نظر مدبرة منزلها.

قالت ديدي: «كوني عاقلة. سوف اذهب لصنع بعض الشاي.»

راقبت باريسا ديدي وهي تختفي خلف الدرج. لقد كانت تعي تماماً كلام ديدي. كان ديفيد في الثلاثين من عمره

ويقيم مع والدته في منطقة باتل وكانت باريسا قد بدأت بالخروج معه منذ عام تقريباً، في بعض الأحيان كانا يتواعدان على العشاء وفي أحيان أخرى كانا يزوران مسرح برايتون ولكن مرة واحدة في الشهر، وكان كلاهما يهتم بفرقة الكشافة. لقد كان ديفيد طويلاً وحسن الطلعة... لا بل وسيماً، فأعجبت باريسا به لكونه محدثاً جيداً وصديقاً مخلصاً، كما انه لم يكن من النوع المتصنع.

ركضت باريسا بخفة متسلقة الدرج. من يعلم ما الذي ستقوله ديدي إذا ما عرفت الحقيقة! قالت باريسا في نفسها، فما الذي ستقوله إذا ما عرفت أنها مسافرة إلى ايطاليا برفقة نذل؟ ولكنها عادت وتمنت أن لا تتمكن من معرفة ما حصل، فنزعت الخاتم من اصبعها ورمته في حقيبتها. كانت ديدي مدبرة المنزل، ولكنها كانت بمثابة أم بالنسبة لباريسا، فبعد وفاة والديها تمّ تعيين محامي العائلة وجدتها وصيين عليها. وعندما توفيت جدتها بعد بضع شهور من وفاة والديها تنازل المحامي بسعادة عن وصاية باريسا وعهد بها إلى ديدي لترعاها، إن باريسا تحبها كثيراً ولا يمكن ان تفعل ما يؤذي مشاعرها.

تقطب حاجبا باريسا علامة القلق، وهي تصعد الدرج الداخلي وحاولت ان تتفادى في مشيتها السجادة الممزقة التي تفترشه. فإذا لم يتوصل محاميها إلى حل عاجل، يصبح القصر عند ذاك معرّضاً للسقوط فوق رأسها، قالت باريسا بينها وبين نفسها، ولكن في حال حصل ذلك ما الذي سيحل بديدي وجو؟

كانت باريسا تحب عملها كمدرّسة رياضة، ولكن راتبها

لم يكن كافياً لا لترميم القصر المتداعي ولا لتغطية مصاريف ساكنيه. كان السيد جارفيس المحامي عجوزاً لطيفاً، ولكن كم تمنت لو انه أجّل أمر مصارحتها بحقيقة وضعها المالي السيىء حتى وقت آخر.

ان تلك المسؤولية كبيرة على عاتق باريسا، خاصة انها آخر شخص حي من عائلة هاردكورت، وآخر قيّم على القصر وعلى الثنائي العجوز الذي يشاركها مسكنها.

لاحقاً، وبعد مشاركة العشاء مع ديفيد في فندق صغير في منطقة هايلشام، ودّعها برقة، مما أشعرها بالدفء والطمأنينة. ثم عادت إلى بيتها فبدلت ثيابها واعتلت سريرها وغطت نفسها بعدد من الأغطية. لقد علمتها التجارب أن الدفء أمر يجب المحافظة عليه خاصة أنها مقيمة في بيت مُعطل التدفئة ورياح شباط (فبراير) تعصف فيه من كل الجهات.

أغمضت باريسا عينيها فارتسمت في مخيلتها صورة ذلك الرجل صاحب الشعر الغامق والعينين السوداوين. ارتعشت باريسا ولكن ليس من البرد. لقد تساءلت عما يفعله لوك في هذا الوقت، فتذكرت مارغوت ماي، كانت على يقين بما يفعله لوك فحاولت أن تقنع نفسها بأنها سعيدة بذلك، لأن من شأن هذا الأمر أن يُسهّل عليها مهمتها في الأيام القليلة القادمة.

وقفت باريسا على الرصيف، فتاة طويلة ممشوقة القد، ذات شعر أشقر متدلٍ على ظهرها ومربوط بربطة شعر زرقاء اللون منسجمة مع لون عينيها الزرقاوين اللامعتين ومتناسبة مع كنزتها ومعطفها الذي كان يلف جسدها

الجميل بواسطة حزام منسجم مع ثيابها. وكانت تنتعل حذاء ذا لون بيج ونعل مسطح وتحمل حقيبة متناسقة الألوان مع باقي ثيابها. أما بجانبها فقد كانت تضع حقيبة قديمة ولكن من الجلد الجيد.

حركت باريسا قدميها لتدفىء نفسها ولتخفف من توترها في نفس الوقت. كانت قد اقترحت في الليلة الماضية على مويا أن تحاول ولآخر مرة أن تسترضي لوك دي ماغي لكي يعطيها الصور، ولكن صديقتها رفضت حتى فكرة رؤية الرجل. ولكن بعد ان عادت مويا للنحيب تخلّت باريسا عن الفكرة، الأمر الذي أدى إلى وقوفها في انتظار لوك على هذا الرصيف.

نظرت باريسا إلى الساعة الذهبية اللون التي تطوق معصمها، إنها الساعة العاشرة وخمس دقائق، لقد تأخر. ثم لمحت الخاتم المتلألىء في اصبعها، فلاحظت انه كبير لدرجة انه لم يسمح للقفازات بأن تدخل يدها مما أدى إلى تجمدها من البرد.

«هل أنت معجبة بخاتمك يا باريسا؟» قال ذلك الصوت الرنّان الذي أجفلها.

استدارت باريسا محدقة فنظرت إلى ذلك الوجه الوسيم، إنه وجه لوك دي ماغي الذي أمسك بذراعها، فما كان منها إلا ان تراجعت في اتجاه الطريق.

«حاذري يا باريسا.» ثم شدها في اتجاهه، ثم تابع كلامه: «لا أريد ان أخسرك الآن، على الأقل ليس قبل إنهاء دورك في الصفقة.»

قالت بغضب: «لقد تأخرت.» وهي تُحملق به وتحاول ان

تكبت مشاعرها. حتى انها عجزت عن ملاحظة سيارته التي ركنها على مسافة أمتار قليلة منها!

ارتسمت ابتسامة صغيرة على فمه وقال: «هل اشتقتِ إليّ؟» ثم رفع أحد حاجبيه متهكماً وأمسك بيدها وحمل بيده الأخرى حقيبتها.

لقد استنفدت باريسا كل رقتها وكل خياراتها، فبعد ان أمسك بيدها الصغيرة الباردة التي تدفأت تحت ضغط أصابعه الطويلة ما كان في امكانها إلا أن تتبعه بوداعة. رمقت باريسا خلسة الرجل السائر إلى جانبها والذي كان ينظر مباشرة إلى الأمام، فبدا شكل وجهه الوسيم وكأنه قُدّ من الصوان. كان يرتدي معطفاً يبرز كتفيه العريضتين وكان نسيم الصباح يلفح ربطة عنقه فترتد على وجهه، أما شعره الأسود وعيناه السوداوان ولون بشرته البرونزي ومشيته المهرولة، وحتى ثيابه كل هذه الأشياء كانت توحي بأنه رجل ايطالي خالص. وهنا تذكرت الشائعات التي كانت تسمعها عن تينا عندما كانت في المدرسة وهي الشائعات التي تتعلق بارتباطات هذه العائلة مع عصابات المافيا.

لقد كان هذا الكلام مجرد خزعبلات من الطالبات، قالت باريسا محاولة طمأنة نفسها، ولكنها عندما وقفت قرب سيارة الليموزين السوداء الضخمة مُراقبة السائق وهو يضع الحقائب في صندوق السيارة، عادت وشككت في الأمر.

قال لوك باقتضاب: «اصعدي إلى السيارة.» ففعلت.

بعد مضي ساعة تقريباً، وبينما كانت تصعد سلم الطائرة، ازدادت شكوكها. فلقد استطاع لوك أن يعبر وإياها

الجمارك وكل مكاتب خروج مطار غاتويك حتى صعود الطائرة دون أن ينطق ببنت شفة.

دخلت باريسا الطائرة ونظرت حولها، فشعرت بتقلّص في معدتها.

تقدم رجل يرتدي بزة غامقة اللون من باريسا وقال: «هل لكِ ان تعطيني معطفك؟» فما كان من باريسا إلا ان حلت الحزام وخلعت المعطف واعطته للرجل.

قال الرجل: «سوف تقلع الطائرة بعد خمس دقائق، اجلسي من فضلك.» ثم رافقها بكل أدب فمشى معها عبر ممر مفروش بالسجاد الأخضر مارة بقرب اريكتين جلديتين وبجوارهما مقعدان وطاولة قهوة مذهبة الاطار وجميعها منسجمة الألوان، ثم تابعا المسير حتى وصلا إلى صف من المقاعد في مؤخرة الطائرة، فجلست فاغرة فاها وفاتحة عينيها من الدهشة. لا بد أنها طائرة خاصة، لا أكثر ولا أقل.

رفعت باريسا رأسها فوجدت لوك واقفاً قربها، فهزّ كتفيه العريضتين فاقترب رئيس التشريفات وتناول المعطف منه ثم جلس على المقعد الملاصق لمقعد باريسا.

سألت باريسا: «لِمن هذه الطائرة؟»

«إنها من أملاك الشركة بالطبع. اربطي حزامك الآن يا باريسا.» ثم ساعدها على ربط الحزام.

أشاحت باريسا برأسها، ونظرت من الشباك إلى خارج الطائرة. الشركة! آه يا الهي! قالت باريسا بينها وبين نفسها بعجز، هل هذا اسم آخر للمافيا؟ وما الذي تعرفه عن هذا الرجل؟ فلا يوجد أي صاحب مطعم مهما علا دخله، يستطيع أن يتبختر في سيارة ليموزين مع سائق خاص أو أن

يستعمل طائرة خاصة. ربما ان لوك استطاع توفير ودفع ثمن المطعم عن طريق خبرته الطويلة في عالم الاحتيال. لقد أيقنت على أنه عضو أو على الأقل يملك ارتباطات مع عصابات الإجرام المنظمة. فما الذي تعرفه عن لوك دي ماغي؟ لقد التقت بالرجل ثلاث مرات فقط خلال عشر سنوات. ما الذي ورطها في هذا المأزق؟

نظرت باريسا إلى الأسفل، ولاحظت ان حزامها يهتز فمد ذراعه الطويلة ليعيد تثبيته، الأمر الذي أشعرها بالخوف. وبسرعة التصقت بالشباك في الوقت الذي بدأت فيه أصابعه باحكام الحزام. لقد تحول خوفها إلى حالة من الذعر ولم تعد تستطيع أن تركز تفكيرها على أي أمر، فحاولت حبس أنفاسها في الوقت الذي كانت تحلّق فيه الطائرة في السماء، لقد بدأ قلبها بالخفقان فتشبثت بالمسكات المخصصة للأيدي التي تبدل لونها من شدة ضغط قبضتها عليها.

في هذه اللحظات مدّ لوك يده الضخمة الدافئة ووضعها عليها، وشدت هي على لحمه القاسي. لم تهتم باريسا بما تقوم به من تصرفات فهي تكره الطيران.

قال مستهزئاً: «أتخاف باريسا المتهورة من الطيران؟»

«كلا، أنا لا أخاف من الطيران.» أجابت كاذبة ثم تابعت وهي تكز أسنانها: «ولكن أكره الاقلاع والهبوط، كما اني لست متهورة.»

أدار لوك رأسه في اتجاه باريسا وعيناه تلمعان ثم قال: «لست متهورة؟ انك موجودة الآن في هذه الطائرة ومخطوبة إلى رجل بالكاد تعرفينه ولا تعرفين الجهة التي تتوجهين إليها...» ثم ابتسم وكشر عن أسنانه البيضاء فتمنت لو انها

تستطيع لكمه، وتابع: «إن كل ما تقومين به يدفع إلى الاعتقاد بأنك متهورة.»

لقد كان كلامه صحيحاً، فتضايقت منه لهذا السبب. ان الصفة الوحيدة التي تفاخر بأنها تمتلكها هي كونها امرأة هادئة عقلانية ناضجة، إلا ان صدقها الغريزي يدفعها إلى الاعتراف بأنها تصرفت بطريقة متهورة في الأيام القليلة الماضية. ولكن بما ان سعادة مويا على المحك لم يكن لديها أي خيار! وبهدوء، رفعت يدها عن يده، ثم نظرت إلى الأسفل فحلت الحزام وحاولت ان تتفادى نظراته الساخرة.

قال ساخراً: «لن أعود وأربطه لك يا باريسا.» ولكنه ما لبث ان فك حزامه هو أيضاً ومدّ رجليه إلى الأمام.

استدارت باريسا وعيناها تلمعان من الغضب. لقد أصبحت تشعر بالغثيان كلما رأته. كان يمد ذراعيه الطويلتين فوق رأسه، فبدا مثل نمر متوحش، في هذه اللحظات حضر مدير التشريفات.

«هل ترغب السيدة بالقهوة أم الفطور؟»

«قهوة فقط، من فضلك.» ثم وقف لوك وقال: «أحضر لي من كل ما عندك، من فضلك يا جاكس.» مد لوك يده القوية إلى باريسا قائلاً: «ما بك يا باريسا؟ لِمَ لا تحاولين ان تريحي نفسك؟ فسوف يكون لدينا أشياء كثيرة لنقوم بها على الأرض فيما بعد وفي كل المجالات.»

تجاهلت باريسا يد لوك الممدودة ووقفت على رجليها فارتسمت على فمه المثير ابتسامة ساخرة كرد فعل على ما قامت به دون أن يعلق على هذا التصرف، ثم توجه إلى الأريكة الملاصقة لطاولة القهوة وجلس عليها.

«ماذا تعني بقولك في كل المجالات؟» سألته باريسا بتحفظ ثم توجهت إلى الأريكة المواجهة لطاولة القهوة وجلست عليها. كانت عيناه السوداوان تحدقان بها وهي في طريقها إلى الأريكة فأخذ يتفحصها من أعلى شعرها إلى أخمص قدميها.

«إننا بصدد صفقة أنا وأنت فقط، سوف أقضي يومين مع والدتك ثم تسلمني صور مويا.» لقد كانت مُصرة على إعادة تذكيره بمستوى علاقتهما وذلك لكي تحدّ من الخوف الذي كان يعتريها.

في هذه الأثناء حضر مدير التشريفات حاملاً صينية فوضعها على الطاولة ثم وضع فنجان القهوة الساخن أمام باريسا، أما بالنسبة إلى لوك فقد وضع أمامه صحناً كبيراً من البيض واللحم، نظر لوك إلى الصحن ثم عاد ونظر إلى باريسا فاصطدمت عيناه بعينيها.

«انك على حق يا باريسا، فلقد عنيت بقولي في كل المجالات أن علينا أن نظهر على اننا مقربان من بعضنا البعض بشكل لا يجلب الشك لأحد.»

تيبست يدا باريسا على الفنجان وذهبت في تخيلاتها إلى البعيد، ارتعشت باريسا من هذا التفكير، فتوردت وجنتاها.

«أنا لا أعني بالشكل الذي تفكرين به بالمعنى المحافظ.» قال ذلك ساخراً وهو يقرأ ما يجول في رأسها: «لأن أمي امرأة ذكية وشديدة الملاحظة فسوف تتوقع مني أن أكون عارفاً لعائلتك ولتاريخها ولكل هذه الأشياء يا ليدي باريسا.» ثم التقط شوكة وسكيناً وأضاف: «ربما سأفتح

شهيتك إذا ما شاهدتني آكل أمامك.» ثم ركز اهتمامه على الطعام الموجود على الطاولة وشرع في الأكل.

تنفست باريسا بعمق محاولة تذكير نفسها بأنها امرأة ناضجة وليست مراهقة بلهاء مشغولة بالأفكار الشاذة. لقد بدا لها طلب لوك منطقياً.

«حسناً، أود أن أخبرك أولاً بأنني لست ليدي.» وعلى وقع كلام باريسا شرع لوك بالضحك.

قال لوك ضاحكاً: «شكراً انك قلت هذا، فلو ان رجلاً ما قال ذلك لما توانيت عن صفعه.»

«أنا لا أقصد ذلك بالمعنى الذي فهمته أنت. لقد كان والدي لورد سرايا هاردكورت، وقد زال اللقب بزوال السرايا. بعد وفاة والديّ بستة أشهر توفيت جدتي تاركة طفلة تعتبر آخر عضو من السلالة، وهكذا أسماني البعض بشكل آلي ليدي هاردكورت بلمونت، إلا ان هذا اللقب لا ينطبق عليّ.»

«ألأنك أصبحت تعيشين في لندن الآن؟ كم كان عمرك عندما توفي والداك؟»

«أربعة عشر عاماً.»

«أي قبل أن ألتقيك.»

«أجل.»

«وكيف ماتا؟»

«لقد كان والدي سائق سباق ناشيء عندما التقى بوالدتي. بعد ذلك جرّب سباق الزوارق ثم انتقل إلى رياضة المناطيد، وقد فقدا بينما كانا يعبران المحيط الأطلنطي بواسطة المنطاد. هل أنت راضٍ الآن؟»

لم تكن باريسا تحب التحدث في موضوع وفاة والديها فبدت منهارة تماماً. لقد كانوا عائلة سعيدة وشعرت بالضياع بعد رحيلهما، وفي شهورها الأخيرة قامت جدتها بتنكيرها بأنها الوريث الوحيد، وبتعريفها على مسؤولياتها بصفتها آخر حي من تلك السلالة، وبعد ذلك بفترة قصيرة توفيت جدتها. قضت باريسا شهوراً طويلة في البكاء، وقد بذل جو وديدي كل ما في وسعهما لمواساتها والتخفيف عنها، ولكن لا يوجد أحد يستطيع مواساة الإنسان مثل عائلته، ومع مرور السنين خفّت معاناتها ولكنها ما زالت تشعر بالألم والوحدة.

«هل ستحذين حذوهم؟»

«كلا، لا أريد ذلك.» لقد أحبت باريسا والديها كثيراً وقد قضت معظم حياتها وهي تحاول كبح الناحية المتهورة في شخصيتها.

«حسناً، لا تغضبي. من الذي اعتنى بك بعد فقدك لوالديك ولجدتك؟»

نظرت باريسا إلى الطرف الآخر من الطاولة ودُهشت عندما رأت لمعان التأثر في عينيه السوداوين.

«محامي العائلة، فقد انتهيت من دراستي المدرسية ومن ثم دخلت الجامعة، وأنا الآن أعلّم الرياضة في مدرسة خاصة في منطقة ساسيكس جنوبي لندن.» وهكذا انتهت باريسا من اخباره قصة حياتها فقد أخبرته الحقيقة، ولكن ليس كل الحقيقة.

«والآن، ماذا عنك؟ أعرف ان لديك أماً وابنة عم اسمها تينا، وأعرف انك تبتز بنجاح بعض الناس، فحصلت على

ما يكفي لشراء مطعم وربما تقيم ارتباطات مريبة لامتلاكك مثل هذه الطائرة. هل أنا في حاجة إلى معرفة المزيد عنك؟»

شعرت باريسا لوهلة بأنها تمادت في كلامها فتغيرت تعابير وجهه إلى حالة قريبة من الغضب. وسلّط عينيه السوداوين على وجهها فبدتا قاسيتين كالجليد، ثم راقبته وهو يضغط بأصابعه على السكين التي كانت في يده، إلا ان المجهود الرهيب الذي قام به استطاع الحد من غضبه فتمالك أعصابه واتكأ على مقعده.

«لا، أعتقد انك لم تعرفي بعد أي شيء يا باريسا، اعذريني الآن فلدي عمل.» ثم التقط حقيبة من على جانب مقعده ودفع بالصحن والفنجان من على الطاولة ووضع حقيبته عليها ثم فتحها.

بعد ذلك سحب بعض الأوراق وبدأ بقراءتها متجاهلاً باريسا.

في هذه الأثناء، حاولت باريسا اقناع نفسها بأنها سعيدة لكونه تركها وشأنها، فأحنت رأسها على الأريكة وتظاهرت بالنوم، لقد مضت عليها ثلاثة أيام وهي تعيش حالة من التوتر العصبي. وشعرت ان رموشها قد ارتخت. إن آخر فكرة تجول في بالها الآن هي عدم نكرانه لنشاطاته الاحتيالية...

لقد أجبرها على مرافقته في هذه الرحلة إلى إيطاليا لأنها ما كانت لتحتمل النظر إلى وجهها إذا ما سمحت للوك بأن يُدمّر حياة مويا، فقد كان عليها أن تتقبل فكرة الدفاع عن صديقتها في كل الأوقات.

تململت باريسا في أريكتها المريحة متنهدة. فمسّدت وجهها وحاولت تجاهل الأصوات التي سببها عمله، ثم تثاءبت وفتحت عينيها فشعرت لبرهة بأنها تائهة.

«إننا على وشك الوصول إلى وجهتنا يا باريسا.»

تباً! لقد كان رأسها مستلقياً على كتفه، وقفت باريسا ووجهها متورد من الخجل فنظرت إلى لوك الذي كان يجلس إلى جانبها، فلاحظت أنه يراقبها بمتعة وعلى وجهه علامة رفضت الاعتراف بها.

«أنا آسفة... كان عليك ان توقظني...» قالت باريسا نلك متلعثمة من الاحراج.

«لا بأس. لقد حاولت ايقاظك... ولكني كنت مسروراً بذلك.» ثم أضاف برقة: «من سوء الحظ اننا سوف نهبط بعد خمس دقائق.»

وقفت باريسا منتصبة من على أريكتها وتوجهت إلى المقعد الذي كانت تجلس عليه عند بدء الرحلة وربطت حزامها دون أن تعيد النظر إليه. لقد كان عليها التصرف بطريقة مختلفة بدل الاعتذار.

مرة ثانية، عادت باريسا تكز أسنانها لأنه عاد وجلس بقربها مرة أخرى. فأغمضت عينيها وحاولت ابقاء يديها مثبتتين في حجرها، لقد حاولت أن تقنع نفسها بعدم الاستسلام إلى الارهاب الذي سيمارسه عليها وهما على الأرض، ثم فتحت عينيها.

«آه، البحر!» تنهدت باريسا متعجبة وهي تركز كل اهتمامها على المنظر الذي تشاهده من النافذة فالتقطت ذراع لوك بيديها الاثنتين!

«مطار جنوى. إنه منظر بحري.» قال لوك نلك بهدوء ثم تابع: «لا يوجد هناك ما يُقلق.»

التقت عينا باريسا الخائفتان بعينيه اللتين جعلاها تضيع في سبر اعماقها وتنسى ما يدور حولها لعدة دقائق.

بعد نلك، اتكأ لوك على مقعده، وفكّ حزامه بهدوء.

«ما كان يحق لك أن تقوم بذلك... ان صفقتنا هي صفقة عمل لا أكثر ولا أقل.»

«هكذا إذن يا باريسا، ولكن عليك أن تعترفي بأنني نجحت في ذلك لأنك لم تلحظي هبوط الطائرة.»

نظرت باريسا إلى خارج الطائرة، لقد كان على حق. حدقت به بغضب شديد ثم فكت حزامها وحملت حقيبة يدها من على الأرض، وبعد أن تأكدت من أنه سبقها في مشيته، نهضت من على مقعدها. في هذه اللحظات أحضر لها مدير التشريفات المعطف وساعدها على ارتدائه، كانت ما تزال ترتجف في الوقت الذي كانت تتبع فيه لوك بوداعة وهما ينزلان سلم الطائرة.

بدا لباريسا ان ضابط الجمارك يعرف لوك جيداً وذلك من خلال تبادلهما الحديث باللغة الايطالية في الوقت الذي كانت تقف فيه باريسا بثبات وجواز السفر في يدها. لم تفهم باريسا أية كلمة مما كانا يقولانه، باستثناء كلمة فيدانزاتا: أي خطيبتي، وهنا نظر الضابط إليها وابتسم ابتسامة ودودة، فعرفت انه يهنئها فردت له ابتسامة خفيفة ونطقت بالكلمة الإيطالية الوحيدة التي تعرفها: «غراتزي.»

نظر لوك إلى باريسا مبتسماً وقال متهكماً: «انك تستطيعين التكلم بلغتي يا حلوتي.» ثم أمسك بيدها وخرجا

من المطار حيث كانت سيارة حمراء تنتظرهما.

تفحصت باريسا السيارة ذات العجلات المنخفضة بدقة. إن معلوماتها قليلة جداً عن السيارات ولكنها عرفت ان هذه السيارة الرائعة هي فيراري، وحسب معلوماتها فإن هذا النوع من السيارات ليس بالرخيص. وهنا عادت باريسا مرة ثانية لتؤكد لنفسها أن هذا الرجل محتال كبير، واعتبرت ان البضعة آلاف التي طلبها لوك ثمناً للصور هي مجرد نقطة في بحر هذا الرجل الذي يتنقل بطائرة خاصة ويمتلك مثل هذه السيارة. إن هذا كله ثمرة الابتزاز. راقبت باريسا رفيقها وهو يفتح لها باب السيارة بكل أدب واحترام وفكرت بأنه ربما لم يكن يرغب في المال بل بقضاء بعض الوقت مع مويا. فبصفته رجل عصابات لا يتمتع بأي أخلاق ولا يبالي بالطريقة التي يجذب بها النساء.

«اصعدي.» قالها آمراً، ثم نظر في عينيها القلقتين وأردف قائلاً: «سوف تكونين في أمان، فأنا سائق بارع.»

لم تشك باريسا في ما قاله، فرجل متعجرف وعديم الرحمة مثله لديه الامكانيات المتوحشة التي تسمح له بأن يقوم بكل ما يريد وعلى أكمل وجه، لقد كانت متأكدة من ذلك. ارتعشت باريسا وهي تركب السيارة فلقد كانت فاقدة لكل طاقتها، فأحكمت ربط حزام الأمان ونظرت بطريقة مرتابة إلى لوك الذي كان يجلس إلى مقعد القيادة.

«هل تعيش والدتك في جنوى؟» سألته بأدب وهي مصممة على أن تتخطى الثماني والأربعين ساعة المقبلة بأقل قدر من المشاكل. فما همّها أن يكون محتالاً وما همّها أن يكون

رجل عصابات، فكلما قلّت معرفتها به كان ذلك أفضل لها.

«أحياناً، ولكني أمتلك فيلا على شاطىء منطقة بورتوفينو، وهو المكان الذي ستقام فيه الحفلة.»

«كم هذا جميل، لقد سبق لي أن سمعت بهذا المكان، ألم يسكن ريكس هاريسون في هذه المنطقة فيما مضى؟» سألته باريسا ذلك محاولة أن تتحدث بطريقة اجتماعية معه.

«اعتقد ذلك.» ثم نظر إليها نظرة جانبية وأضاف: «ولكنك لست مضطرة أن تبدأي بالتمثيل منذ الآن يا باريسا، وفّري جهدك حتى وقت استقبال والدتي.»

هذا صحيح، يا لك من نذل، قالت باريسا في نفسها فالوقت لم يحن بعد لأكون مؤدبة... وهكذا، قضت بقية الرحلة وهي تنظر إلى الطبيعة من نافذة السيارة، أخيراً وبعد الخروج من المدينة الرابضة على سفح جبل، ظهر لها الشاطىء الصخري فأعجبت بجماله وبجمال البحر الأبيض المتوسط ذي اللون الأزرق اللازوردي.

لشدة الدفء الذي كان يعبق في السيارة، شعرت باريسا بأن هذا اليوم هو مجرد يوم صيفي. كانت الشمس ترسل أشعتها الذهبية والسماء زرقاء اللون خالية من الغيوم، فلم تعرف أن الفصل هو فصل الربيع سوى عندما رأت البراعم الندية التي كانت تنمو على الأشجار المنتشرة على جانبي الطريق. انعطفت السيارة إلى اليسار بين عمودين صخريين يعلوهما رأس أسد منحوت، ثم تابعت طريقها صعوداً عبر طريق تحيط بجانبيه أشجار الصنوبر الخضراء.

فجأة عادت أشعة الشمس ودخلت السيارة، فلم تستطع

باريسا أن تتمالك نفسها لشدة دهشتها عندما رأت أجمل فيلا وقعت عليها عيناها على قمة تلك الوهدة.

أوقف لوك السيارة ثم نظر إليها. لقد كان لمعان ماكر يشع من عينيه في الوقت الذي كانت فيه ابتسامة صبيانية ترتسم على وجهه. «أأعجبك منزلي؟»

لا بد ان الأمر هو مجرد نكتة أو خيال، فلم تستطع إلا أن ترد على ابتسامته بالمثل. قالت بذهول: «إني لا أصدق ما أرى.»

لقد كان بناء ضخماً ذا شكل دائري ولون زهري وشبابيك ذات قناطر. أما الطابق الأول فقد كانت شرفته التي تزنر البناء مزودة بدرابزين حديدي فخم ومنمق وتحتها صف آخر من الشبابيك المقنطرة. كان البناء يشبه منارة ذات بوابة كبيرة تعلوها قنطرة ضخمة. أما أكثر ما يُلفت النظر فهو سطح المبنى الذي كانت تتوسطه غرفة دائرية الشكل تعلوها قبة نحاسية اللون.

«إن المبنى يبدو وكأنه كعكة حلوى ضخمة.» قالت ذلك ضاحكة ثم تابعت: «لا أستطيع أن أصدق ان انساناً يستطيع بناء منزل كهذا.»

«ولا أنا صدّقت ذلك عندما رأيته للمرة الأولى. لقد قام أحد نجوم موسيقى الروك بتصميم الفيلا وبنائها في فترة الستينات، أما الغرفة المستديرة التي تعلو البناء فهي مرصد فلكي، يبدو أنه كان يهوى النجوم بصفته واحداً منها. لقد اشتريته لأنه واقع في قطعة أرض كبيرة وكنت أنوي هدمه وبناء منزل بتصميم آخر مكانه ولكن بطريقة ما، عدت وأعجبت بالبناء فأبقيته كما هو، إنه تصرف غريب

ولكن هذا لا يعني أبداً أني غريب الأطوار... لكن...»

ثم حرك كتفيه على الطريقة الإيطالية وابتسم.

كانت باريسا لا تزال تتمتم في الوقت الذي كان فيه لوك يساعدها على الترجل من السيارة، ثم شبك مرفقه بمرفقها ورافقها صعوداً عبر الدرج الرخامي في اتجاه الباب الضخم، وقبل أن يصلا إلى آخر درجة فُتح الباب على مصراعيه، وظهرت منه سيدة مهيبة ذات شعر أبيض وفتحت ذراعيها إلى أقصى درجة، فما كان من لوك إلا أن ترك يد باريسا وتقدم معانقاً إياها.

أخذت باريسا تراقب المتعانقين فقد كانت أمه سيدة عجوز طويلة وضخمة الجسم، من الواضح إذن ان هذه هي أمه المريضة، قالت في نفسها وتابعت مراقبتها.

«باريسا، حبيبتي، اسمحي لي أن أعرفك على أمي.»

دهشت باريسا عندما سمعت كلمة حبيبتي ففتحت فاها ولكنها عادت وأقفلته بسرعة. ثم صعدت الدرجة الأخيرة وتقدمت مادة يدها إلى السيدة العجوز.

قالت برقة: «كيف حالك؟» لكن السيدة العجوز أبعدت يدها ودون أن تعي باريسا ما يجري حولها، وجدت نفسها مغمورة بذراعي السيدة العجوز.

«لا داعي للشكليات يا طفلتي، فأنت ستكونين بمثابة إبنة لي.» قالت العجوز ذلك ثم قبّلت باريسا على الوجنتين قبل أن ترفع عنها ذراعيها. نظرت باريسا في عيني السيدة العجوز متأثرة بعد أن رأتهما مغرورقتين بالدموع...

«تعالا، تعالا فلندخل...»

لم تدرِ باريسا ما يحدث لها، فبعد دقائق قليلة وجدت

نفسها تخلع معطفها وتجلس قرب لوك على كنبة مريحة وفي غرفة جميلة.

قالت العجوز: «فلنتناول كأساً من شراب الورد لهذه المناسبة.»

هزت باريسا رأسها في محاولة منها لاستيعاب ما يجري حولها، ثم شدت أصابعها وأصغت لكلامه في الوقت الذي كانت فيه عيناها تحدقان بعينيه.

«لا تنسي سبب وجودك هنا، فسوف أجعلك تدفعين الثمن إذا ما أحزنتِ أمي.»

ارتعد جسد باريسا على وقع تهديد لوك الذي نطق به بصوت هامس، ثم نظرت إليه نظرة ارتياب وحاولت للحظات قليلة أن تتناسى أنه عدوّها.

سألته باريسا: «ماذا تعني؟»

«لن أسمح لك بأن تخذلي أمي بهزة من رأسك الجميل، وعليك أن تأخذي منها كوب الشراب وتبتسمي.»

لقد كان لوك مخطئاً في تفسير رد فعلها فهي لم تكره والدته، ولكن الآن ليس الوقت المناسب للجدل. أدارت باريسا رأسها وابتسمت للسيدة العجوز ثم قالت برقة: «نعم، إني متشوقة لشرب شيء ما.»

في هذه اللحظات، ظهر شاب يرتدي بزة سوداء حاملاً علبة ثلج وزجاجة من شراب الورد وصينية عليها كؤوس كريستالية أنيقة، فوضعها على الطاولة قرب السيدة العجوز. التقط الشاب الزجاجة ثم فتحها.

قال لوك وهو يتناول الكوب: «باريسا، خطيبتي العزيزة، هل لنا أن نتحد اتحاداً أبدياً.» ولكن من بريق عينيه عرفت

أنه لاحظ حقيقة شعورها وأنه يستمتع بما يقوم به.

وبشجاعة كبيرة، رفعت باريسا كأسها وأخذت منه رشفة. لقد تقبّلت تهاني أمه بمزيج من اللغتين الإيطالية والانكليزية ومن ثم منحتهما مباركتها بروعة خاتم الخطوبة في الوقت الذي كانت تنظر فيه باريسا إلى عيني لوك اليقظتين واللتين تراقبان أقل خطأ.

تنفست باريسا الصعداء عندما قالت السيدة دي ماغي مقترحة: «لا بدّ وانك متعبة، فلقد كانت رحلة طويلة، سوف يرشدك لوك إلى غرفتك وسوف نعود ونتحدث لاحقاً هذه الليلة قبل أن تصل الشلّة.»

في طريقها إلى غرفة النوم، نظرت باريسا إلى لوك بعينين غاضبتين وقالت مستهزئة: «أهذه أمك المسكينة والمريضة؟ يا لك من كاذب، فهي امرأة مسترجلة ولكنها تتظاهر بالرقة.» لقد حاولت باريسا أن تخفي خوفها ببعض الغضب فقد سمعت السيدة دي ماغي تستعمل كلمة الشلة، أليس هذا اسماً آخر للمافيا؟

«اسكتي واتبعيني.» أمرها بذلك وهو يصعد الدرج الرخامي.

لقد عاد لاستعمال تلك الكلمة: اتبعيني، قالت باريسا في نفسها غاضبة، لكنها لا تملك أي خيار آخر سوى تنفيذ ما قاله. كيف قامت بتوريط نفسها في هذا المأزق؟ إنها لا تصدق ما يجري لها. لا بدّ وأنها ورثت بعض التهور من عائلة هاردكورت. لقد كانت طوال كل السنوات الماضية تحاول اقناع نفسها بأنها لا تتصرف بطيش كما تصرف والدها، ولكنها ليست واثقة الآن من نجاح محاولاتها.

www.elromancia.com

«هذه غرفتك. أتمنى ان تشعري بالراحة هنا. إذا ما احتجت إلى أي شيء اقرعي الجرس الموجود قرب سريرك، سوف أكون في الغرفة المجاورة.»

ظل لوك ثابتاً مكانه، فنظرت إليه وهي متضايقة من فكرة أن يكون حائطاً واحداً يفصل بينهما.

أجابت بطريقة رسمية: «سأكون مرتاحة، أشكرك.» فنجحت في إظهار ما تريد. تأملت باريسا الغرفة، لقد كانت منمّقة باللونين الأبيض والوردي بطريقة أنثوية، فبدت رائعة. كان السرير من الطراز الملوكي تعلوه ملايات بيضاء ناصعة وزهرية فاتحة. وكان يوجد كنبة صغيرة قرب المدفأة وبعض التحف. باختصار، كانت غرفة نوم أنيقة.

في هذه الأثناء مدّ لوك يده ووضعها على كتفها فشدّت أعصابها استعداداً للدفاع عن نفسها، فهي لم تكن تعرف أن لوك قريب منها لهذه الدرجة.

قال مشيراً بيده الأخرى: «الحمام عند ذاك الباب.»

قالت باريسا: «أشكرك.» متمنية خروجه من الغرفة.

«انك مهذبة، مع انه منذ أقل من خمس دقائق كنتِ تنعتينني بالكاذب. تذكري عقاب مثل هذا الكلام يا باريسا.»

كان يجدر بها أن تعرف ان تعليقها على أمه ما كان ليمر دون رد فعل منه.

«لقد سبق وحذرتك، ولكن يبدو لي أنه عليكِ تلقي بعض الدروس لتتعلمي كيفية التصرف على أنك خطيبتي.»

أمسك يدها بقوة، فحاولت دفعه.

«حقاً يا لوك، لا تتصرف بطريقة صبيانية.» إلا ان لوك لم يكترث لمحاولتها في إبعاده عنها، فصرخت بشدة:

«دعني... يا لك من وحش! لا تلمسني!» جلس على كرسي وعيناه تتفحصان وجهها في نظرة توحي بأنهما تأمرانها بالهدوء حسب تفسير باريسا المذعورة. «لقد سبق ان قلت لي انك لن تضايقين، لقد وعدتني.» قالت ذلك وهي تعض على شفتيها.

«حسناً، ولكني غيّرت رأيي، ولِمَ لا أغيره؟»

نظرت إليه بدهشة، فهو لا يمزح، بل يعني ما يقول.

«أنت مبتزّ ومحتال وربما كنت عضواً في عصابات المافيا. فمن أين لك لتشتري المطعم وتستأجر الطائرة وتمتلك سيارة فيراري وهذا المكان؟»

ولدهشة باريسا انفجر بالضحك. وقال بتعجب: «المافيا؟ باريسا، إنكِ تضحكينني...»

لم تلاحظ باريسا ما يضحك فقالت: «حتى ان امك قالت الشلة، أتعتقدني بلهاء.»

توقف لوك عن الضحك وضاقت عيناه وارتسمت على وجهه علامة جدّ ثم التقط أنفاسه وعدل جلسته ونظر إلى باريسا المرتجفة من شعرها إلى أخمص قدميها وكأنه يراها للمرة الأولى، ثم مرّر يده على شعره الكثيف ومسح جبهته ونظر إليها ثانية.

«وماذا لو قلت لك انني لست مُبتزاً.»

«لو لم تكن كذلك لما كنت أنا هنا.» أجابت باريسا مستهزئة ثم نظرت إليه فرأت على وجهه علامات الدهشة.

«هذا صحيح.» ثم نهض واتجه نحو الباب فوضع يده على المسكة واستدار قائلاً: «ان غلطتي يا باريسا أنني وعدتك بعدم لمسك. نحن نتناول العشاء عند الساعة الثامنة

www.elromancia.com

والنصف. وبالمناسبة، استعملت والدتي كلمة الشلة لأن لغتها الانكليزية ضعيفة وليس لأي سبب آخر.» ثم خرج من الغرفة وأقفل خلفه الباب بهدوء.

حدقت باريسا بالباب لبعض الوقت وهي عاجزة عن تفسير تصرف لوك. لقد أصبح هذا الرجل يشكّل لغزاً محيّراً بالنسبة لها، فتارة يتقرّب منها بطريقة عاطفية، وبعد دقيقة واحدة يقول ان ما فعله كان غلطة ويتبدّل مزاجه فيصبح مهذباً ومضيافاً كريماً. كم تمنّت باريسا أن تمتلك تلك القدرة على تغيير المشاعر والأحاسيس في لحظة واحدة مثله.

لسبب ما شعرت باريسا بأن ما من سبب يمنعها من أن تحب انساناً من نوع لوك دي ماغي. فهو رجل في السابعة والثلاثين من عمره، وله عالمه الخاص، وهو عالم تستطيع أن تعرف بعض صفاته، ربما أن أمه أخطأت خطأ لغوياً فلم تستعمل الكلمة المناسبة! ولكن لوك لم ينكر كونه عضواً في المافيا. ارتعشت باريسا ثم اعترفت بأن هذا الأمر يفوق قدرتها على الاستيعاب.

لقد كانت تعيش حياة ريفية هادئة في شرق ساسيكس وتزور لندن في رحلة دورية لحضور المسرح أو مشاهدة استعراض ما. ومع أنها كانت دائماً مفلسة كانت مقتنعة بحياتها. فبعد وفاة والديها وجدتها تُركت لتتولى حياتها على مسؤوليتها الخاصة. وبالرغم من أنها كانت تعتبر على الصعيد المحلي من العائلات الأرستقراطية لم تكن تختلط مع هذه العائلات، وكانت اختلاطاتها على الصعيد الاجتماعي محدودة جداً. أما أصدقاؤها الحقيقيون، مثل

مويا وديدي وقلّة أخرى، فقد كانوا أوفياء لها. أما بالنسبة للأصدقاء الذكور فلديها ديفيد ومع أن صداقة ديفيد لم تكن قوية ولم تكن جدية في علاقتها معه فقد كانت تشعر بأنه يلائمها، فهو انسان لطيف وغير معقّد... يا ليتها كانت معه الآن.

لوك هو نوع من الرجال الذين لا يمكن وصفهم إلا بالمعقدين. ولكن مع هذا كانت تحيط به هالة من القوة والطاقة التي لا علاقة لها بجسده، بل بشخصيته.

أطرقت باريسا مفكرة في وضعها الحرج، فما كان يجدر بها المجيء إلى إيطاليا... لقد كانت غلطة كبيرة، فقد كان يجدر بها اقناع مويا بأن تبلّغ الشرطة التي عليها أن تتصرف مع لوك دي ماغي على طريقته. ولسبب لا تستطيع فهمه كانت نظرة واحدة من عيني لوك السوداوين، كفيلة بأن تحولها إلى مراهقة طائشة مع أنها كانت تعرف أنه مبتز. وهنا عادت وتذكرت عيني صديقتها الباكية ووجهها الخائف. لم يكن هناك أدنى شك بالنسبة إلى باريسا في أن الرجل خارج عن القانون. ولكن لِمَ تعاني من هذا الانجذاب الغامض إليه؟ ان الأمر مجرد جنون. لقد أقنعها منطقها بأن هذا الرجل انسان حقير.

تنهدت لحالها وكم تمنت لو أنها كانت موجودة مع ديفيد الآن في انكلترا، فعلى الأقل ديفيد انسان من النوع الذي تستطيع مجادلته واقناعه، لأنه غير معقد وهادىء. بينما لوك، لا تستطيع أن تفعل معه هذا الأمر.

www.elromancia.com

الفصل الرابع

حاولت باريسا اقناع نفسها بأن تركز كل اهتمامها على العمل الذي جاءت من اجله، وان لا تنسى مويا. ولكن الأمر لم يكن سهلاً، فتمددت في سريرها واضعة يدها على رأسها ومفكرة بحالها، فبدا لها أن كل ما يجري حولها هو مجرد تصرفات غير منطقية.

لقد نعتت مويا الرجل بالنذل والانتهازي، الا ان هذا الوصف لا ينطبق على لوك. وحسب وجهة نظر باريسا، فان المرأة التي لا تنجذب إلى لوك لا يمكن الا ان تكون عمياء أو بلهاء.

شعرت بتأنيب الضمير، مسكين ديفيد، فهي لم تكن جدية في علاقتها معه على الاطلاق، فقد كانت تعرف أنه يأمل في أن يتزوجها في النهاية، وحتى هذه اللحظة، لم تحاول ان تزعجه بايقاظه من حلمه، لكي لا تخسر صديقاً يمكن الاعتماد عليه وتشعر معه بالأمان، فهي لم تخبره خلال سهرة يوم السبت بأنها مسافرة الى ايطاليا، الأمر الذي اشعرها بأنها لم تكن صادقة معه.

ثم نهضت من سريرها وتوجهت إلى الحمام، عسى أن حماماً بارداً يساعدها على اراحة بالها. فاذا ما استطاعت ان تقضي الفترة المتفق عليها وهي بوعيها التام، قد تنجح في الوصول إلى تحليل مناسب لشخصية لوك.

دخلت باريسا الحمام وصدمت عندما احست نفسها،

وكأنها في مرآة عملاقة، فرأت صورتها تنعكس على المرايا الموجودة في الداخل، ثم لفت نظرها حمام الجاكوزي المستدير والمحاط بحوض من النباتات الاستوائية، فخشيت الاستحمام في هذا المكان خوفاً من هذه النباتات، وعوضاً عن ذلك اخذت حماماً سريعاً تحت الدوش الملاصق للجاكوزي.

وبسرعة، قفلت عائدة إلى غرفة نومها. لقد بدت لها ضخامة الحمام غريبة جداً، ولكنها عادت وادركت انها استعملت الحمام المقابل للذي اشار اليه لوك بيده، على الفور استدركت انها قد تكون استعملت حمام لوك الخاص.

نظرت إلى حقيبتها، فلاحظت ان شخصاً ما قد عبث بها، ولكنها لم تفاجأ نظراً لما صادفته من امور غريبة في هذا البيت. ففتحت الخزانة وصدمت عندما رأت ثيابها القليلة معلقة فيها بشكل منظم. لقد كانت قد احضرت معها فستانين، وفي الواقع، ان كل ما تملكه هو فستانان رسميان فقط، فتناولت فستان المخمل الأزرق الغامق، وهو الأقل جمالاً بين الاثنين.

وبخفة كبيرة، جلست على السرير ووضعت جوربا حريرياً في ساقيها الطويلتين، ثم نهضت وارتدت الفستان المخملي وتوجهت الى المرآة لتهندم الفستان.

انه ليس سيئاً، قالت في نفسها وهي تنظر إلى صورتها المنعكسة في المرآة. لقد كان فستاناً طويلاً ومن النوع المحتشم الذي تصل كماه الى رسغيها.

جلست على مقعد طاولة التجميل وشرعت في وضع اقل قدر ممكن من الزينة على وجهها المتعب. فوضعت بعض

الكريم المرطب وقليلاً من الظل الأزرق فوق عينيها وبعض الكحل الغامقة على رموشها، وانهت زينتها بوضعها قليلاً من البودرة الحمراء على خديها لاضفاء بعض اللون، ثم سرحت شعرها الطويل وردته الى الخلف. واخيراً وضعت احمر شفاه على شفتيها ورشت عطرها المفضل على رقبتها، وهو عطر قدمته لها مويا كهدية في ذكرى مولدها.

تنهدت باريسا وحالة من العجز تسيطر عليها، فهي لم يسبق لها ان شعرت بهذا القدر من الوحدة في حياتها، وشعرت بانها لن تتمكن من النجاح في مهمتها، فنظرت الى صورتها المنعكسة في المرآة، وشعرت بانها تنظر الى امرأة غريبة.

كانت معتادة على اليقظة في حياتها لدرجة انها اصبحت تعتقد انها معجونة بطينة من الحذر، ولكن ماذا لو كان في طينتها جزء من التهور الذي ورثته عن والديها؟ انها شيء ترفض باريسا تصديقه. ولكن هل ان وجودها في بلد اجنبي برفقة رجل لا تثق به وبالكاد تعرفه وتدعي انها خطيبته يعتبر تصرف امرأة حذرة؟ قالت باريسا متسائلة بمرارة.

ثم هزت كتفيها ووقفت، لأن الاجابة عن هذا السؤال سهلة جداً، فهي قامت بهذا التصرف لأنه لم يكن امامها سوى خيارين، اما ان تأتي إلى ايطاليا، واما ان تقبل بتدمير حياة اعز صديقاتها، وهي ما كانت لتقبل بحدوث هذا الأمر. ان مويا هي السبب الرئيسي لوجودها هنا وعليها ان تحاول تخطي مدة اقامتها بنجاح في هذا المكان من اجلها، فالأمر يستحق عناء العيش مع لوك، اذا كان ذلك يعني ان مويا سوف تتزوج من سيمون وتريح تفكيرها.

التفتت ثانية الى الخزانة، فأخذت منها حذاءها ذا الكعب العالي وانتعلته، لقد اصبحت الآن جاهزة لأي شيء، قالت ذلك بعزم وهي تنظر في المرآة للمرة الأخيرة، ثم توجهت نحو الباب. لقد قررت ان تنزل الى الصالة وتستكشف ما يجري، قبل ان تفسح المجال للوك بالعودة ثانية الى غرفتها.

دخلت باريسا الرواق وفوجئت عندما رأت لوك يقترب نحوها. لقد كان رائعاً ببذلة السهرة السوداء التي كان يرتديها ويرتدي تحتها قميصاً حريرياً ابيض منسجماً مع لون بشرته البرونزي، فشعرت بان قلبها قد زاد من سرعة خفقاته ووجنتاها قد توردتا في الوقت الذي كان ينظر فيه إلى شعرها نزولاً حتى فستانها المخملي الأزرق. فأحنت رموشها املاً في اخفاء تأثير نظرته الذي بدا واضحاً على وجهها. لقد اصبحت جاهزة لكل شيء، قالت في نفسها، كل شيء عدا جاذبية لوك دي ماغي التي لا تقاوم.

«آه، لقد اصبحت جاهزة. كنت في طريقي لاصطحابك.» قال لوك ذلك برقة وهو لا يبعد سوى مسافة قليلة عنها. فوضع اصابعه على ذقنها ثم رفع رأسها وتأمل وجهها الجميل.

«انك رائعة الجمال يا باريسا.» وعاد ينظر الى وجهها فالتقت عيناه البراقتان بعينيها وأضاف بحساسية بالغة: «انك فعلاً لبيدي. لبيدي انيقة جداً.»

قالت متلعثمة: «آه، حسناً، اشكرك...»

كان يتأملها بسكون وكأنه يحاول ان يستعمل قوة شخصيته ليجعلها طوع يديه. فاستعملت كل ما تملك من

www.elromancia.com

ارادة لتتراجع إلى الوراء ثم قالت: «هلاً نزلنا إلى الصالة، فأمك في انتظارنا.»

قال مبتسماً: «يا لك من جبانة.» ثم مشى بقربها محاولاً ان يبقى في مشيته خلفها ولو بخطوة واحدة، الأمر الذي جعلها تشعر بالارتباك.

إن العشاء هو عمل لا ينتهي، حسب رأي باريسا التي تحدق بصحنها المليء بالتورتة، فهي لن تتمكن من انهاء مافيه بعد ان شربت عدة اكواب من عصير الفاكهة الطبيعية، وأكلت صحناً كبيراً من السباغيتي. بالنسبة للمحادثة التي دارت على المائدة، فقد كانت رسمية، ورغم محاولاتها الحثيثة لم تستطع أن تتصرف بطريقة طبيعية مع لوك، وسبب ذلك حسب تفسير باريسا هو كرهها له ولما يمثل، ولكن في صميمها كانت تشعر بعكس ذلك. لقد وجدت صعوبة في أن تكون طبيعية لأنها كانت تتصرف معه بحذر شديد وبطريقة لم تختبرها ولم تعتد عليها من قبل. لقد قاومت المشاعر الغريبة التي كانت تسيطر عليها مما ادى الى تصرفها الحذر في محاولة منها للدفاع عن نفسها.

سألت السيدة دي ماغي: «ان الزواج في العيد الكبير شيء رائع، اليس كذلك يا باريسا؟»

«لا اعتقد ذلك.» أجابت باريسا بحدة لأنها لم تستطع ان تجيبها بـ «كلا». لقد كانت سعادة السيدة العجوز بخطبة ابنها واضحة جداً، ولو كانت الظروف مختلفة لكانت حماة رائعة بالنسبة الى باريسا، ولكن باريسا لم تكن ناجحة في متابعة دورها كخطيبة محبة. كان للغنى الواضح لسيد هذا البيت، والضخامة الباهرة لغرفة الطعام تاثير كبير على

تفكير باريسا التي لم تستطع ان تبعد عن رأسها فكرة ان سكان هذا البيت محتالون. لا بد ان والدة لوك تعرف جيداً من اين يحصل ابنها على هذا المال، ومع هذا تبدو فخورة به كأي ام اخرى. ان الخدم والطعام الفاخر وكل ما في هذا البيت يدفعون ثمنه من مال اتى بالنصب والاحتيال. رمقت باريسا لوك بعينيها واخذت تفكر. كيف يمكنها ان تنجذب الى رجل تعرف بينها وبين نفسها أنه خارج عن القانون؟ وهنا لم تستطع الا ان تعترف بأنها منجذبة بشكل كبير الى هذا الرجل.

ركزت باريسا بصرها على شعر لوك الأسود وهي في حيرة من امرها، فلم تستطع ان تفهم ما يجري لها. لقد كانت تجد نفسها منجذبة اليه، رغم ان كل الصفات التي تكرهها في الرجال موجودة فيه.

كان لوك يبدو هادئاً ومبتسماً على المائدة، إلى أن ادلت باريسا بأحد تعليقاتها اللاذعة فتعكر مزاجه وتوقف عن تمثيل دور الخطيب المحب.

بعد ذلك، تبادل مع والدته بضع عبارات باللغة الايطالية لم تستطع أن تفهم منها شيئاً، ثم دخل في سكوت عميق كاد ان يشكل نهاية لصبر باريسا.

لقد كانت تلك فكرته المجنونة، وكان عليه ان يعرف انه لن يستطيع بذلك ان يخدع والدته او اي شخص آخر، قالت باريسا في نفسها وتمنت لو انها تستطيع ان تنهض وتخرج من هذا المكان في الحال.

رفع لوك رأسه ونظر مباشرة إلى والدته ثم قال: «عذراً يا امي، فأنا أريد أن أتكلم مع باريسا على انفراد.»

www.elromancia.com

ولدهشة باريسا، نهض لوك ومشى حول الطاولة ثم امسك بذراعها وقال: «فلنذهب إلى مكتبي.»

نظرت باريسا إلى أمه وابتسمت ابتسامة عصبية في الوقت الذي كانت تخرج فيه من الباب ويد لوك ممسكة بمرفقها.

«لِمَ فعلت هذا؟» سألته باريسا بغضب بعد أن أصبحا في الرواق.

قال لوك: «أريد ان أتحدث معك. أرجوك، لا تجادلي.» ثم فتح احد ابواب الرواق الواسع وادخلها إلى غرفة مكتب مليئة بالكتب.

«اجلسي.» قالها آمراً وهو يشير إلى اريكة قرب المدفأة الرخامية الأنيقة.

أشعل لوك المدفأة، فأخذت النار تتراقص وتتأجج في الظلمة ثم توجه نحو مصباح المكتب وأضاءه، ومع هذا بقيت الغرفة خافتة الاضاءة، فأخذ لهيب النار يرسل ظلالاً تنعكس على الحائط وعلى لوك فأخفت تعابير وجهه.

بدا لباريسا ان لوك يحاول عدم اظهار وجهه، فراقبته وهو يجلس خلف طاولة المكتب بطريقة اوحت لها وكأنه يدير جلسة مجلس ادارة. ثم رأت أصابعه وهي تلتقط سكيناً لفتح الملفات فعبث بها ثم اعادها إلى مكانها. بعد ذلك التقط بعض الأوراق الموجودة امامه ثم خلطها، وبما انها تعرف عاداته جيداً، تأكدت انه غاضب.

سألت باريسا بفظاظة: «حسناً، ما هذا الشيء المهم الذي بسببه منعتني من انهاء طعامي؟» ثم عم السكون المكان. على اي حال، فهي لم تكن تريد أن تأكل تلك الحلوى.

«لم يسبق لك ان تصادقت مع رجل، اليس كذلك؟» سألها بعجرفة، ثم رفع رأسه وسلط بصره عليها.

«ماذا؟» لم تستطع باريسا ان تصدق اذنيها، يسحبها من غرفة الطعام إلى هنا لكي يسألها هذا السؤال؟ ففتحت فاها وتوسعت عيناها على وقع المفاجأة.

سألت متمتمة وهي تهز برأسها: «هل أنت مجنون؟»

«كلا، وحتى الآن لم تجيبي عن سؤالي يا باريسا.»

قالت بسخط شديد: «ولن اجيب عن هذا السؤال المبهم.»

«لا تتكلمي بهذه الطريقة امامي.» قال لوك ذلك بحزم، ثم توجه نحوها وجلس بقربها على الأريكة. وهنا تلاشى عصيان باريسا بعد ان لاحظت بخوف شديد التصميم البادي على وجهه العابس. ثم تابع كلامه قائلاً: «ولكن هذه المرة سأسامحك، فلك الحق في أن تخافي مني، ثم انك لست مضطرة للاجابة عن سؤالي. لقد كانت امي على حق، اذ اني استطيع ان ارى الاجابة على وجنتيك.» وحاول أن يضع يده على خدها فتراجعت الى الخلف: «لا تتحركي.» ووضع يده على ذراعها ليمنعها من الوقوف.

«أمك؟!» قالتها مستغربة فهي لم تكن تعرف عما يتكلم.

«بالضبط، يا باريسا.» ثم وضع يده على اليد التي تضع فيها الخاتم فشعرت بالذنب عندما تذكرت الاحراج الذي سببته له في محل الصائغ.

«كنا قد اتفقنا على صفقة، وحتى الآن كان تمثيلك للدور غير مقنع ولا يمكن ان ينطلي على أحد. لقد أعربت أمي خلال تناول العشاء، عن سعادتها لأنها أحست بأنك فتاة محافظة، لقد كانت على حق، اليس كذلك؟»

www.elromancia.com

قالت باريسا باقتناع: «نعم هذا صحيح، مع ان هذا الأمر لا يعنيك.»

ايعتقدني بلهاء؟ قالت باريسا في نفسها.

ان هذا الرجل ماكر وعليها ان لا تنسى ذلك.

«لا أملك اية نية لأناقشك في هذا الموضوع الآن يا باريسا، ولكن من الأفضل لنا أن نتفاهم على أمر او امرين قبل ان نقوم بأية خطوة اخرى.»

«نتفاهم؟!» قالت والابتسامة الساخرة ترتسم على وجهها: «لا تضحك، فأنت لا تعرف معنى هذه الكلمة.»

قال غاضباً: «حسناً هذا يكفي.» ثم امسكها بعد أن كانت قد وقفت.

قالت صارخة: «دعني!»

قال آمراً: «اسكتي. إذا كنت تريدينني أن التزم بالجزء الذي يختص بي من الصفقة واعطيك الصور فعليك ان تتصرفي بطريقة افضل من التي تصرفت بها حتى الآن. وكبداية لذلك عليك ان تتوقفي عن سخريتك. ان القرار يعود لك، فهل انت مستعدة لبذل بعض الجهد في تمثيل دورك كخطيبة محبة؟ أم انك تفضلين الغاء الصفقة وتحمل نتائج كل ما سيصيب صديقتك من عواقب وخيمة؟»

«كلا، اريد الصور.» لم يكن امام باريسا اي خيار آخر، وكان يعلم ذلك، كما انها لم تكن تريد ان تخذل مويا. «ولكن ما الذي تعنيه بالضبط؟ أيجب علي ان اظل جالسة بقربك؟»

«لا تخافي يا باريسا، أعدك بأن لا أقوم بأي تصرف الا بموافقتك، وبعد ما حصل بيننا الآن، لا اعتقد اننا سنجد صعوبة في اقناع مئات البشر، بمن فيهم امي، بأننا ثنائي مغرم.»

بعد ذلك تلاشت غمامة الغضب التي سيطرت على لوك لبعض الوقت وحلّ محلها الهدوء والرقة.

«إن سبب احضارك إلى هنا هو انني اريد...»

قالت السيدة دي ماغي مقاطعة لوك: «هذا أفضل. لقد اصبحتما الآن صديقين، اليس كذلك؟» نظرت باريسا بدهشة إلى السيدة دي ماغي التي تابعت كلامها: «لا بأس، لا بأس، فأنا اعرف تصرفات الشباب. ان ولدي لوك سوف يبذل كل جهده لاسعادك، فهو رجل ناضج.»

نظرت باريسا الى لوك ولم تستطع ان تمنع الابتسامة من ان ترتسم على شفتيها، لقد بدا لها لوك غير مرتاح ومرتبك. لا بد انها المرة الأولى التي يشعر فيها بذلك دون شك.

في اليوم التالي استيقظت باريسا على صوت قرع الباب، فداعبت اشعة الشمس عينيها وهي تفتحهما.

قالت باريسا: «أدخل.» لا بد وان الخادمة تحضر قهوة الصباح.

قال لوك ضاحكاً: «انك تبدين مبتهجة، لا بد وانك تحبين وقت الصباح.»

رفعت باريسا الملاءة ثم نظرت إلى وجهه الوسيم.

«أهذا أنت؟! كنت أعتقد ان الخادمة هي من تدق الباب.»

«انه لمن دواعي سروري ان احضر لك القهوة.» وبهدوء شديد وضع الصينية على الطاولة المجاورة لسريرها وسكب القهوة، ثم ناولها فنجاناً.

«أشكرك.» قالتها برقة بعد أن احمر وجهها على وقع هذه المفاجأة.

«انك تبدين رائعة حين تحمرين من الخجل.» قال لوك ذلك

www.elromancia.com

مغازلاً مما زاد من خجلها. ثم ضحك واوما لها قائلاً: «لا تقلقي. اشربي قهوتك الآن، ثم وافيني إلى الاسفل بعد نصف ساعة. اريد أن اصطحبك إلى الخارج تجنباً لضجة ترتيب البيت.»

قالت مستغربة: «ضجة ترتيب؟!» فحسبما لاحظت، كان كل شيء في منزله يسير كعقارب الساعة.

«لقد وصل متعهد الحفلة وبدأ التحضير للسهرة. ويقوم الخدم بترتيب غرف النوم، ومن الأفضل لنا أن نخرج من هذا المكان.» قال لوك هذا الكلام ثم خرج من الغرفة.

في استطاعة لوك ان يكون مضيفاً رائعاً، قالت باريسا في نفسها وهي تستذكر ما حدث في الليلة الماضية. فبعد أن انضمت اليهما امه في المكتب، تلاشى التوتر الذي كان يعم الغرفة وشرب الثلاثة القهوة وتناولوا كعكاً بالشوكولا، كان للغة السيدة دي ماغي الانكليزية الركيكة ولحماسها لخطوبتهما الأثر الكبير في تلطيف اجواء السهرة، لدرجة انه بعد ان خرجت السيدة دي ماغي من الغرفة مقبلة الاثنين، قضيا ساعة رائعة في الدردشة بأمور تتعلق «ببافاروتي» و«دومينغو»، وهما مغنيا الأوبرا المفضلان بالنسبة إلى لوك، لأنه كان عاشقاً لموسيقى الأوبرا مثل معظم الايطاليين. بعد هذا الحديث رافقها لوك صعوداً إلى الطابق العلوي وتمنى لها ليلة هادئة، وقال: «انها هدنة يا باريسا، ليوم واحد فقط.» وهكذا وافقت باريسا على هذه الهدنة.

قررت باريسا ان تخرج مع لوك لتستمتع بنهارها متناسية سبب وجودها في ايطاليا، فالتقطت معطفها

ونظرت في المرآة للمرة الأخيرة ثم خرجت من غرفتها.

كان ذلك النهار يوماً مميزاً جداً. فقد كانت الشمس ترسل اشعتها الدافئة مبشرة باقتراب فصل الصيف، فتنتشر اشعتها الذهبية عبر المروج.

قاد لوك سيارته الفيراري عبر الطرق الريفية المتعرجة بخبرة كبيرة، ثم ترجلا من السيارة ووقفا على وهدة واعجبا بجمال المناظر الخلابة.

كانت أصوات الأمواج المتكسرة على الشاطىء واصوات طيور النورس المحلقة فوق البحر تتقاطع مع بعضها البعض فتؤلف لحناً موسيقياً.

بعد الظهر تركا الوهدة نزولاً في اتجاه بورتوفينو.

«إن هذا الوقت هو افضل اوقات السنة حسب رأيي.» قال لوك ذلك وهو يساعدها على الخروج من السيارة.

سألت باريسا: «ألا تعتقد أن الصيف افضل؟»

«كلا، ففي فصل الصيف يكون هذا المكان مكتظاً بالسياح ويكون المرفأ مزدحماً بالأجانب، أما الآن فلا يوجد في المنطقة سوى السكان المحليين.» وبينما هما يتكلمان اقترب صبي لا يزيد عمره عن العشر سنوات من لوك.

«عذراً عذراً.» قال الصبي موجهاً كلامه إلى لوك.

حمل لوك الولد وأرجحه بين ذراعيه ثم عاد وانزله ارضاً برفق شديد.

راقبت باريسا الاثنين باندهاش ثم زادت دهشتها عندما لاحظت ان الصبي بذراع واحدة. انه امر محزن حقاً. ولكن مع هذا كانت الابتسامة لا تفارق وجهه.

لم تستطع باريسا ان تفهم شيئاً من الحديث الذي دار

www.elromancia.com

بينهما باللغة الايطالية، كما لم تفهم السبب الذي من اجله اعطى لوك الولد المال. بعد مغادرة الولد، امسك لوك باريسا وشرح لها الأمر.

«ان باولو صديقي، وأنا ادفع له المال لأنه ينظف زورقي. كنت انوي ان آخذك لرؤيته ولكنني جائع الآن.»

قالت باريسا مازحة: «لا تريد أن تأخذني لأنه لا يمكن لأي شيء ان يحول بينك وبين الطعام.»

قال لوك برقة: «في امكانك انت ان تفعلي ذلك ساعة تشائين وفي اي وقت.»

قالت باريسا بعد أن اخجلها لوك باطرائه: «حسناً، فلنأكل.»

«ما زلت جبانة.» قال لوك ذلك وهو يرفع يدها وقربها من فمه ليقبلها، ثم نظر إلى اصبعها وتابع: «أين خاتمك؟»

«لقد تركته في غرفة النوم، فقد أردت ان استمتع بهذا اليوم بشخصيتي الحقيقية، كما ان الخاتم هو مجرد وسيلة لتكملة تمثيلية هذه الليلة.» قالت باريسا ذلك وهي متأكدة من أن لوك سيتفهم الأمر.

قال بغموض: «اذا كان هذا ما تريدين، فلابأس.» فنظرت اليه ولكنه اشاح بوجهه عنها، فشعرت باريسا لوهلة بانها جرحت شعوره ولكنها عادت واستبعدت الفكرة بعد ان عاد للكلام.

«انه مطعمي المفضل.» قال لوك ذلك وهو يقودها إلى مقهى صغير قرب البحر من النوع الايطالي النموذجي حيث رحب مدير المقهى بـ لوك على انه صديق قديم.

لم تذكر باريسا انها اكلت وجبة في السابق واستمتعت

بها الى هذا القدر، كما انها لم تكن تملك اية فكرة عن الطعام الذي تناولته الى ان أخبرها لوك بأنها قد أكلت كبداً.

قالت مستغربة: «ولكنني اكره الكبد.» ولكنها ما لبثت ان انفجرت بالضحك بعدما اشار لوك الى صحنها الفارغ.

«ان ذلك واضح يا حلوتي.»

وغادرا المطعم متجهين إلى السيارة.

بعد أن جلست باريسا في السيارة، نظر لوك اليها بجدية محدقاً بعينيها.

«أتعرفين ما يعجبني فيك؟»

«ماذا؟» سألت وعيناها الزرقاوان تتأملان بريق عينيه.

«يعجبني فيك انك لا تسمحين لأي شيء بأن يعكر صفو سعادتك. فقد هددتك لكي تأتي الى ايطاليا، وكان في امكانك ان تجعلي هذا اليوم رهيباً، وبدل ذلك جعلته سعيداً، فقد استمتعت بكل دقيقة فيه، ولا اظن انه يوجد بين معارفي من استطيع ان اسعد بوقتي معهم كما سعدت معك.»

حاولت باريسا ان لا تركز على نبرة صوته الجدية وبريق عينيه المتأجج خوفاً من الانجذاب اليه.

«من الواضح انك لا تقابل النوع المناسب من البشر.» قالت له ذلك برقة في محاولة منها لكسر هذه الجدية المفاجأة، ثم عدلت جلستها وامسكت حزام الأمان، فأخذه من يدها وأحكمه حولها.

«ربما انك على حق يا حلوتي، ولكن في امكانك ان تحكمي بنفسك هذه الليلة.» ثم ادار محرك السيارة منطلقاً ومضيفاً: «سوف يحضر هذه الحفلة كل افراد عائلتي تقريباً ومجموعة كبيرة من الأصدقاء.»

www.elromancia.com

لم تجب باريسا على ما قاله، فقد نكرها كلامه بسبب مجيئها الى ايطاليا، الأمر الذي سبب لها انزعاجاً. لقد كانت قد تناست طبعه الحاد بعد اليوم السعيد الذي قضياه معاً، أما الآن ففكرة السهرة التي تنتظرهما هذه الليلة تسبب لها ضيقاً.

الفصل الخامس

كانت باريسا تضع اللمسة الأخيرة من زينتها على وجهها عندما لعنت حظها. فقد انزلق اصبع أحمر الشفاه عن خط شفتها العليا على صوت قرع باب غرفتها.

وبسرعة مسحت فمها بمنديل، وأعادت وضع أحمر الشفاه بشكل صحيح، وبعد أن اقتنعت بالنتيجة توجهت إلى الباب لفتحه.

كان لمنظر لوك الذي يقف منتصباً على الباب تأثير كبير على باريسا التي حبست أنفاسها عندما رأته. كان يرتدي بزة سهرة ذات سترة مفتوحة حيث يظهر تحتها قميصه الحريري الأبيض الأنيق، فغطت مسحة من الخجل وجهها من جراء نظرته المتأملة التي تفحصت ودققت بثوبها المخملي الأسود الذي كانت ترتديه.

قال برقة: «تبدين رائعة يا باريسا. وثوبك مثلك تماماً، فيه لمسة من الجرأة.» ثم أمسك بذقنها برفق شديد ونظر إلى وجهها مقدراً جمالها، فلاحظت أن عينيه تحملان تعبيراً لا تستطيع فهمه.

كانت تعرف أنها أخطأت عندما ارتدت هذا الثوب، فهو جريء التصميم، وهي الصورة التي لم تكن تنوي إبرازها. وبعد أن التقطت أنفاسها، لعنت الساعة التي اشترت فيها ثوب السهرة هذا من أحد المحلات الصغيرة التي كانت تقدم حسماً في العام الماضي في منطقة برايتون، كان يبدو في

www.elromancia.com

ذلك الوقت مناسباً جداً لها ووجدت أن شراءه فرصة لا يمكن تفويتها. ولكن الآن، وبعد أن لاحظت مدى إثارة ثوبها، أدركت مدى فداحة غلطتها.

تلاشى حذر باريسا عندما اقترب منها وقال:

«هل أنت جاهزة للانضمام إلى الحفلة يا خطيبتي الجميلة؟»

لم تستطع باريسا أن تسيطر على الرجفة التي كانت تعتريها، ولكنها استجمعت قواها، ومدت له يدها فبدا الخاتم اللماع يتلألأ كالنار في اصبعها.

قالت مازحة: «أجل، ولم أنس وسيلة التمثيل.»

بعد نصف ساعة تقريباً، كان لوك يطوق كتفي باريسا بأحد ذراعيه، ويطوق أمه بالذراع الأخرى.

«هذا كل ما في الأمر يا سيداتي. لقد حيينا الجميع، والآن حان وقت الاستمتاع بالسهرة.» ثم رافق باريسا إلى حلبة الرقص ذي الأرض البراقة وراقصها برشاقة.

بعد أن ردت الضحكة إلى لوك، أطرقت باريسا مفكرة بمدى وسامة هذا الرجل الذي يشاركها السهرة، وقررت أن ترمي الحذر جانباً وتستمتع بوقتها ولو لليلة واحدة فقط، فارتسمت ابتسامة جميلة على ثغرها. ثم نظر إليها نظرة رضى قبل أن يجيل نظره في أرجاء الصالة مراقباً الحشد الموجود فيها.

«حتى الآن يسير كل شيء بشكل رائع يا حلوتي. فأمي تستمتع بسهرتها بشكل كبير، حيث لم يسبق لي أن رأيتها أكثر سعادة من الآن. وأخيراً أصبح في إمكانها أن تتحدث مع اصدقائها عن الأحفاد الذين سترزق بهم بعد فترة

قصيرة، أما بالنسبة إلى اصدقائي، فكلهم يحسدونني لأنني أسرت أجمل سيدة.» ثم لمعت عيناه بسعادة وهو ينظر إليها.

«ألا تشعر ببعض الذنب يا لوك وأنت تخدع أمك؟» سألته باريسا ذلك وهي تشعر ببعض الحرج وتفكر للمرة الأولى في الاسلوب الذي سيبرر فيه سبب فسخ الخطوبة العاجل.

«إنك تعرفين يا باريسا كيف تسبرين أغوار ضميري، مع أنني استطيع أن أقسم لك بأنني كنت منذ بضعة أيام بلا ضمير.»

«إذن، هذا يعني أنني نجحت في شيء ما.» قالت مبتسمة في محاولة منها لإخفاء مشاعرها المنهارة.

وبينما هما يتحدثان، دخل صوت ثالث عالمهما الخاص.

«إنه دوري يا لوك، فلا يمكنك أن تراقص هذه السيدة الجميلة بمفردك طوال السهرة.»

أجاب لوك بإقتضاب: «آه، ولكني استطيع ذلك.»

لقد سبق للوك أن قدم لها الرجل الذي قاطعهما في بداية السهرة على أنه مساعده الخاص واسمه ألدو جينيتي. كان الرجل بطول باريسا تقريباً ذا شعر أسود وعينين بنيتين. وكانت تقف إلى جانبه زوجته وهي حسب ما بدا لباريسا من أجمل ما رأت من النساء واسمها آنا جينيتي. كانت آنا ترتدي فستان سهرة أسود أنيق، وسوار أمن الماس يطوق معصمها، وحسب تقدير باريسا، فإن السوار وحده يقدر بثروة.

تبادلت آنا الحديث مع لوك باللغة الايطالية ثم حشرت نفسها بين باريسا وبينه ووضعت يدها ذات الأظفار

www.elromancia.com

المطلية باللون الأحمر على ذراعه فبدت كالمخالب. نظرت باريسا إلى لوك مرتجفة، وكم تمنت أن لا يعير آنا أي اهتمام، ولكنه بدل ذلك نظر إليها وقال لها ضاحكاً وباللغة الانكليزية:

«وكيف في إمكاني أن أرفض مراقصتك؟»

قال ألدو: «هيا يا باريسا، لم يبق سوانا، أنا وأنت. لنرِ هذا الحشد كيف يكون الرقص.» وهنا عزفت الفرقة الموسيقية لحناً صاخباً، فقررت باريسا أن ترقص، ولِمَ ترفض؟ فقد كانت تحب الرقص.

استسلمت باريسا للايقاع الموسيقي الصاخب بكل جوارحها وتمايلت بقدها المياس برشاقة لا تضاهى، ولم يكن ألدو بالراقص السيىء.

أفسح المجال لألدو وباريسا للرقص وخلال دقائق لم يبق سواهما في الحلبة واكتفى الباقون بالمراقبة. تضاحكت باريسا بصوت عالٍ على إطراءات ألدو المفرطة، ودارت حول نفسها عند انتهاء الوصلة الموسيقية، فتطاير شعرها على كتفيها، ثم رمقت لوك بعينيها ولاحظت كم كان غاضباً.

قال ألدو لاهثاً: «اشكرك يا باريسا، لقد كنت رائعة.»

«أجل يا حلوتي. لم أكن اعرف أنك تحبين الاستعراض.» قال لوك ذلك بغضب، وهو يقترب منها، ثم تابع كلامه هامساً في اذنيها: «في المستقبل أفضل أن تكبحي جماح مواهبك الدفينة، فأنا لا أقبل أن يراقب ضيوفنا جمال خطيبتي.»

لقد سبق لها ورأته وهو يراقص آنا فكيف يجرؤ على انتقادها؟ كما أنها ليست خطيبته.

«ألا تلاحظ أنك نسيت أمراً ما؟»

«اسكتي يا باريسا، اتريدين أن يسمعنا كل الناس.» قال هامساً في أذنيها قبل أن يتابع كلامه: «بالنسبة لهذه الليلة على الأقل ستكونين معي أنا، ولن أسمح لأي رجل بالاقتراب منك، مفهوم؟» قال ذلك بإلحاح.

فكرت باريسا بتملكية لوك، وتساءلت عما إذا كان يشعر بالغيرة عليها، فسرت لهذه الفكرة واحتفظت بها لنفسها.

عاد لوك وباريسا للرقص ثانية، فشعرت وكأنها سندريلا الحفلة. وغرقا في تمثيل دور الخطيبين، لدرجة أن باريسا لم تعد تميز التمثيل من الحقيقة ولكنها لم تأبه للأمر.

تركت السيدة دي ماغي الحفلة عند منتصف الليل تقريباً، بعد ذلك بدأ الضيوف بالرحيل بشكل تتابعي حتى لم يبق سوى أربعة ثنائيات لمتابعة السهرة.

عند الساعة الثانية فجراً لم يكن قد تبقى في الطابق السفلي سوى لوك وباريسا.

سألها لوك: «هل ترغبين في فنجان قهوة؟»

قالت متثائبة: «كلا. لقد كانت سهرة رائعة.» ثم نظرت إلى عينيه وتابعت: «من المؤسف انها انتهت، ولكن...»

«لا تقولي «لكن» يا باريسا، فالحفلة لم تنته بعد، على الأقل ليس الآن...»

راقبت باريسا لوك وهو ينزع ربطة عنقه ويفك الزرين العلويين من قميصه، فسيطرت على تفكيرها مسحة من الخوف، ما الذي يفعله هذا الرجل؟ لا بد وأنها أهينت!

«اني أقصد المرصد الفلكي في معظم الليالي عندما

www.elromancia.com

أكون هنا، فمراقبة السماء في الليل تساعدني على النوم، ما رأيك في أن ترافقيني؟»

لم يفعل لوك الشيء الذي كانت تتوقعه باريسا، فشعرت بالخجل من افتراضها الخاطىء.

قالت موافقة: «نعم، أود ذلك.» فبعد ان قضيا يوماً رائعاً سوياً، وبعد أن لاحظت أنه لم يقم بأي تصرف شائن، لم تجد مانعاً لمرافقته. فلقد أصبحت أفكارها هي الشائنة، حسب انتقادها.

تسلق الاثنان السلم بهدوء محاولين عدم ازعاج ساكني المنزل، ثم تبعت باريسا لوك في الممر ذي الإضاءة الخافتة.

«انتبهي لخطواتك.» قال لوك وهو يفتح الباب ويدخل إلى الغرفة، فتبعته ممسكة يده التي مدها لها في الظلام حيث أنه لم يكن في الغرفة سوى مصباح خافت الإضاءة.

نظرت باريسا حولها باهتمام، فرأت منظاراً ضخماً مرتكزاً على منصة دائرية في وسط الغرفة، ولاحظت أنه لم يكن في المكان سوى طاولة مكتب ومقعد جلدي وأريكة كبيرة.

«ان المكان مقفر وموحش.» قالت باريسا ذلك وهي تشعر بأنها محتجزة بين جدران هذه الغرفة.

«راقبي.» قالها لوك وبكبسة زر واحدة فتحت قبة الغرفة لتظهر منها عدسة المنظار.

«آه، إنه أمر فتان.» في هذا الوقت تراجع لوك مفسحاً في المجال للقمر بإضاءة الغرفة بضوئه الفضي فرفعت باريسا رأسها ونظرت بمهابة إلى النجوم المتلألئة في الفضاء.

«إننا محظوظان لأن السماء صافية.» قال لوك ذلك وهو يساعدها على المشي، فمشت معه إلى وسط الغرفة.

ترك لوك باريسا، ثم خلع سترته وعدل المنظار، ثم جلس على المقعد الذي إلى جانب مقعدها وقال لها:

«انظري يا باريسا». فنظرت باريسا بسكون وانبهار إلى النجوم والكواكب التي كان يشير إليها.

إنه رجل جذاب جداً، قالت باريسا بينها وبين نفسها في الوقت الذي كانت تبعد فيه رأسها عن المنظار وتتأمل تقاسيم وجهه الوسيم. كان لوك مستغرقاً في ما يقوم به. فألقت باريسا برأسها على ظهر المقعد، ثم أغلقت عينيها. لقد بدا لها الأمر وكأنه لا يوجد غيرهما في هذا العالم وشعرت بأنها سوف تظل تذكر هذه الليلة طوال حياتها.

«أنا آسف يا حلوتي، فلقد استغرقت في ممارسة هوايتي، لا بد وأنك متعبة.»

«لوك...»

«اعذريني لدقيقة، فعلي أن أتحقق من أمر ما. ارتاحي.»

لم تستطع باريسا أن تقول أي شيء. ففتحت عينيها نصف فتحة وراقبته وهو يعود إلى منظاره النفيس. لقد كان رجلاً رائعاً حقاً.

ابتسمت باريسا وهي تفكر بينها وبين نفسها بلوك، فقد رأت احترام اصدقائه له في هذه الليلة، ورأت احترامه لأمه. ورأت اهتمامه بالطفل المعاق، كل هذه الأمور شواهد على طبيعته المحبة ونفسه الكريمة. ولكن لِمَ أصبح مجرماً؟ ربما أن أشخاصاً آخرين ورطوه في هذه الأمور.

كانت تحاول أن تجد له الأعذار، ومع أنها كانت تعرف

www.elromancia.com

أنه مبتز ولص، الا أن نظرة واحدة من عينيه السوداوين كفيلة بأن تنسيها ما تفكر فيه. ثم ابتسمت، لأنها لم تكن تعرف معنى هذا الكلام إلى أن قابلت لوك.

فتحت عينيها ببطء حين سمعته يقول:

«أهذه ابتسامة سرية يا باريسا، بِمَ كنت تفكرين؟»

«ان الرجال المحترمين لا يسألون مثل هذا السؤال، فللسيدات اسرارهن الخاصة.»

كان جواب لوك الوحيد على كلامها هو أن تمنى لها ليلة سعيدة بعدما أوصلها إلى غرفتها.

الفصل السادس

في اليوم التالي وفيما كانت باريسا ترشف قهوتها الصباحية في غرفة الجلوس مع لوك، اذ بالهاتف يرن.

«عذراً يا باريسا، فعليّ الرد على الهاتف. لا بد وأن الأمر طارىء، وإلا لما تجرأ أحد على ازعاجي.» ونهض عن الأريكة ثم التقط سماعة الهاتف.

شعرت باريسا بفراغ الأريكة الواسعة بعد نهوضه. ثم فكرت بقوله المتعجرف ان أحداً لا يجرؤ على إزعاجه، الأمر الذي دفعها إلى أن تكون أكثر تيقظاً منه بسبب وضعها الحرج معه. هكذا بدأ الحلم الذي عاشته خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة بالتلاشي. نظرت باريسا بحذر إلى لوك، فراقبته وهو يلتقط سماعة الهاتف وأخذ يصغي باهتمام إلى الشخص الذي يحدثه على الطرف الآخر لخط الهاتف. لقد كان رجلاً قوياً، ديناميكياً، وكان لوجوده رهبة كبيرة. لم تستطع باريسا أن تفهم كلمة مما كان يقوله، ولكنها استطاعت ان تعرف أن مزاجه قد تعكر لأن ذلك كان واضحاً على ملامحه.

نهضت باريسا ببطء شديد من مقعدها، ثم أغمضت عينيها والاحمرار بادٍ على وجهها، وكأنها لاحظت الآن جسامة الغلطة التي اقترفتها بمجيئها إلى ايطاليا.

لم تجرؤ باريسا على أن تنظر إلى لوك. لا بد وأنها كانت ثملة أو مجنونة أو مسحورة، أو الثلاثة معاً.

www.elromancia.com

أشاحت باريسا برأسها هرباً من عينيه الساخرتين. ولكن بعد أن لاحظ لوك رد فعلها وخجلها، بدل ملامح وجهه ونطق ببضع كلمات مقتضبة، ثم وضع الهاتف جانباً وتوجه نحو باريسا.

قال لها: «كنت أنوي أن أجعل هذا الصباح مميزاً يا باريسا، ولكن من سوء حظنا أن هناك حالة طارئة في المصنع في مدينة نابولي. يبدو أن حريقاً شب في المصنع في الليلة الماضية وجرح ثلاثة رجال، لذا يجب عليّ التوجه إلى هناك.»

صعقت باريسا من كلامه، فنظرت إلى وجهه الوسيم. لقد كانت تريد أن تخبره بأنها تحبه، ولكنها استدركت الأمر لأن الوقت ليس مناسباً لذلك، مع علمها بأن هذا الوقت لن يأتي أبداً. فابتسمت ابتسامة عريضة مملوءة بالغبطة، ونظرت إليه بعينيها الزرقاوين اللتين عكستا حقيقة حبها الجديد.

«لا تنظري إليّ هكذا يا باريسا. ان عليّ الرحيل بعد نصف ساعة، ولكن عليك أن تبقي هنا حتى أعود، علينا أن نتحدث مع بعضنا.»

«ومتى تعود؟»

«بعد يوم أو يومين على الأكثر.»

تململت باريسا وقالت: «ولكن عليّ أن أعود إلى ديباري، فهناك مويا...» ثم تابعت كلامها باندهاش: «الصور!» كيف استطاعت ان تنسى السبب الرئيسي لوجودها هنا؟ قالت في نفسها، ان حبيبها مبتز وربما أسوأ من ذلك! ومع هذا نسيت أمر صديقتها.

سيطر القلق على عيني باريسا وفكرت بأنه لا مجال لبقائها في ايطاليا لانتظار لوك وأن أفضل حل أمامها الآن هو انهاء مهمتها والرحيل.

«لا يوجد أمامي الآن متسع من الوقت لأشرح لك، لذا سوف اسمح لك بأن تتغلبي عليّ هذه المرة. سوف أحضر الصور وأرتب أمور سفرك لتعودي إلى انكلترا اليوم. ولكن تذكري أنك لي، وانتظري مني مكالمة هاتفية هذه الليلة، اعطني رقم هاتفك.»

وبدافع من حذرها الشديد، اعطت باريسا لوك رقم هاتف مويا في لندن بينما كان يرافقها إلى غرفتها.

بعد أن ارتدت باريسا بنطالها وقميصها الصوفي، وجدت نفسها واقفة في الفناء الخلفي للفيلا وبيدها مظروف الصور وإلى جانبها يقف لوك الذي كان مهندماً ببدلة أنيقة وترتسم على شخصيته ملامح الرجل الناضج والناجح. في هذا الوقت حطت الطائرة المروحية على العشب الأخضر مكملة شخصية لوك.

«إني أكره وداعك بهذه الطريقة يا باريسا، ولكنني مضطر. سوف أكون في لندن في أسرع وقت ممكن.»

«لا بأس، فأنا أتفهم الوضع.» ولكنها لم تكن تتفهم شيئاً، لأنها لم تكن تعي الوضع الذي أصبحت عليه، لأن جزءاً منها كان يريد التشبث بلوك ويحاول إقناعها بالذهاب معه وعدم النظر إلى الوراء.

«فتاة طيبة. إن أول ما أحببته فيك هو وفاؤك لصديقتك الذي أحب ان يكون لي مثله. أعرف أني أكبر منك سناً بكثير، وكان يجب عليّ، السيطرة على نفسي بشكل أفضل، لقد

أعجبت بك لدرجة أنني لم أعجب بأي امرأة أخرى بهذا القدر. ضعي خاتمي وانتظريني.»

«سوف أفعل.» كانت تائهة في بريق عينيه. قد لا تكون كلماته اعترافاً صريحاً بالحب، لكنها كانت كفيلة بأن تجعل قلب باريسا يقفز من الفرح.

وهكذا ودّعها للمرة الأخيرة وقال: «سوف أقضي معك بعض الوقت لاحقاً. أعدك بذلك.» تذكرت لوك وهو يوجه مثل هذه الكلمات إلى مارغوت ماي. إنها المُغنية التي يبدو ان باريسا نسيت كل ما يتعلق بها.

وبخطوات متثاقلة قفلت عائدة إلى غرفتها حيث كانت المدفأة مشتعلة وسريرها مرتب. فهزت كتفيها وتوجهت إلى المدفأة، حيث رمت بالصور في النار وراقبتها وهي تحترق.

لقد انتهت المهمة الآن. ولكن ماذا كان الثمن؟

توجهت باريسا إلى السرير وتمددت وأخذت تفكر. فأين المشكلة في أن يكون لوك قد التقى مارغوت ماي خلال عطلة الاسبوع المنصرم؟ لقد أصبح هذا الأمر جزءاً من الماضي. فأمر انجذاب الرجل إلى امرأة ما بسرعة، أمر محتمل، وقد حصل لها ذلك ايضاً. فقد قضت ثلاثة أيام فقط برفقة لوك ومع هذا أغرمت به. لذا ما المانع في أن يكون قد حصل نفس الشيء للوك؟ لقد سبق له أن اخبرها بأنه أعجب بها منذ اللحظة الأولى التي رآها فيها، ولكنها لم تستطع أن تتحمل فكرة أن يكون قد كذب عليها، ولكن إذا كان كلامه صحيحاً، فماذا عن الباقي؟ أي الابتزاز!

وبسرعة نهضت وبدّلت بنطالها وقميصها. ثم وضعت

ماكياجاً خفيفاً على بشرتها مكوناً من الكريم المرطب وأحمر الشفاه وأجلت أمر تساؤلاتها حتى تلتقي بـ لوك لأنها لم تكن تنوي أن تستبق الحكم عليه. لقد كانت متشبثة به، وهي تعرف هذه الحقيقة جيداً. ولكن من الممكن ومن المحتمل أن تكون مويا هي الشخص الوحيد الذي حاول ابتزازه، وربما كان للوك تفسيراً منطقياً لتبرير أفعاله الشائنة. ولكن من تحاول أن تخدع؟ لا أحد سوى نفسها. فقد وقعت في حب محتال. ان من سخرية القدر، أن الرجل الذي وقعت في حبه متهور أكثر من والديها وسلالتها بمئات المرات، إلا أن والديها كانا صادقين، وهذا أدنى المطلوب، انما لوك...

رفضت باريسا أن تتابع تفكيرها بهذه الطريقة، ففتحت الخزانة وسحبت منها ثيابها ووضبتها في حقيبتها. ثم حملت الحقيبة والمعطف وجالت بنظرها في أرجاء الغرفة للمرة الأخيرة. فابتسمت عندما رأت الخاتم لا يزال على الطاولة وتذكرت لوك عندما طلب منها أن تضعه في اصبعها، فوضعته، وشعرت بارتفاع في معنوياتها.

بعد نصف ساعة تقريباً، عادت معنوياتها للانهيار، فقد كانت باريسا واقفة في غرفة الطعام قرب طاولة المائدة الأنيقة تحاول اختيار طعام فطورها عندما دخلت تينا إلى الغرفة.

«باريسا، أيتها المحتالة، لِمَ لم تخبريني يوم الجمعة الماضي بأنك مخطوبة من لوك؟! الأمر رومنطيقي حقاً، فلطالما شككت في أنه مغرم بك حتى الجنون، لقد غضب جداً من تلك الحيلة التي مررناها عليه أيام الدراسة،

وأقسم بالانتقام في بادىء الأمر، لكنه عاد وتناسى ما حدث، ويضحك من تلك الحيلة كلما تذكرها، إني سعيدة لأجلكما.»

لم تلتق باريسا تينا في الليلة الماضية لأن الفرصة لم تسنح لذلك، وهذا الصباح لم تكن في مزاج يسمح لها بالاستماع إلى مجاملتها حول تلك الخطوبة المزيفة.

«أشكرك.»

«لقد وعدت جينو بأن آخذ له بعضّ الطعام، إنه في انتظاري.» وبلمح البصر، ملأت صحناً بالطعام وغادرت المكان.

التقطت باريسا صحناً ووضعت فيه قطعة من «الكرواسان» وكانت على وشك أن تسكب فنجاناً من القهوة عندما دخلت آنا، السمراء الفاتنة.

«لقد سمعت أنك تعرفين لوك منذ مدة طويلة...» قالت آنا ذلك بلغة انكليزية ركيكة ثم توجهت نحو باريسا ووقفت بقربها وتابعت: «لقد قدم لك الخاتم وسوف يتزوجك من أجل أمه.» ثم حدّقت آنا بعينين قاسيتين كالجليد إلى باريسا وتابعت كلامها: «ان أمه سعيدة، فبالزواج من «ليدي» انكليزية يكون لوك قد قدم لوالدته... كيف تقولينها؟ آه، يكون قد قدم لها المركز الاجتماعي الذي تريد.»

شحب لون باريسا على وقع تعليق تلك المرأة اللاذع.

«اسعدي بوقتك الآن، لأن لوك ليس من النوع الوفي، وقريباً سوف تحصلين على سوار، تماماً كما فعلنا نحن... لقد قدم لي هذه، إنها جميلة أليس كذلك؟»

قبل أن تستجمع باريسا أفكارها لترد على آنا، ظهرت

السيدة دي ماغي ووجهت كلاماً إلى تلك المرأة جعل لونها قرمزياً واضطرها للخروج.

قضت باريسا بقية ذلك الصباح تحاول فهم ما قالته السيدة دي ماغي بمزيج من اللغتين الانكليزية والإيطالية، ولكنها لم تتوصل إلى أي نتيجة، ثم تنفست الصعداء عندما وصلت سيارة الأجرة لتقلها إلى المطار واستطاعت أخيراً أن تقول: «إلى اللقاء».

سألت مويا: «إذن، هل أحضرت الصور؟ وماذا حصل؟»

رمت باريسا بحقيبتها إلى الأرض.

قالت باريسا لاهثة: «دعيني أدخل الشقة اولاً، قبل أن تمطريني بأسئلتك.» كانت خطوط القلق بارزة على وجه مويا، فتذكرت بألم شديد أن تصرف لوك هو الذي جعل صديقتها على هذا النحو. كيف يمكنها أن تحب مثل هذا الرجل؟

«لقد انتهت متاعبك يا عزيزتي مويا، فقد أحرقت الصور بنفسي. أما الآن، فاصنعي لي فنجاناً من القهوة، ثم عودي لأخبرك بكل شيء.»

بعد عشر دقائق تقريباً، أخبرت مويا قصة مختصرة عما صادفها، متفادية إخبارها التفاصيل الدقيقة حول والدته، أما الخاتم فقد خلعته في الطائرة ووضعته في حقيبة يدها.

«باريسا، لا استطيع أن أعبّر لك عما يعنيه لي هذا الأمر. فقد كنت أعيش تحت وطأة اكتشاف سيمون أمر تلك الصور، وكنت اعتقد أن ذلك الكابوس لن ينتهي أبداً. بصراحة، عندما سافرت برفقة ذلك النذل إلى ايطاليا، لم أكن أتصور أنه

سيحترم كلمته ويعيد اليك الصور. شكراً لك يا باريسا.»

عضت باريسا على شفتيها، وكانت على وشك أن تعض مويا بسبب تعليقها حول لوك، وسيطرت غمامة حزن على عينيها عندما لاحظت أن رأي مويا بلوك قد يكون صحيحاً. ولكن، لماذا تحاول باريسا أن تجعل من نفسها العوبة بين يديه؟ سؤال تصعب الاجابة عنه.

هكذا، قضت الصديقتان بقية السهرة وهما تتحدثان عن حفلة زفاف مويا المرتقبة. لقد كانت تنوي أن تترك عملها في نهاية ذلك الاسبوع، لأن سيمون سوف يحضر يوم الأحد لايصالها إلى نورفوك لتقيم مع والدها إلى أن يعين موعد زفافها، إلا أن باريسا لم تكن تصغي لحديثها جيداً، لأنها كانت تنتظر رنين الهاتف! وأخيراً قررت أن تبقى بضيافة مويا حتى نهاية الاسبوع على اساس انها كانت تنوي الذهاب إلى السوق لشراء فستان جديد ترتديه يوم عرس مويا، ولكن بينها وبين نفسها كانت تمني النفس بأن يتصل لوك أو أن يصل إلى لندن قبل يوم الأحد.

عندما توجهت باريسا إلى السرير كانت الساعة قد قاربت الثانية صباحاً، ولوك لم يتصل بعد. فتمددت في سريرها واستذكرت كل كلمة وحركة قاما بها خلال الأيام القليلة الماضية.

سوف يتصل لوك... لا بد وأن يتصل. ربما أن الحادث كان خطيراً أكثر مما تصور لدرجة أنه لم يسنح له الوقت بالاتصال، قالت ذلك في نفسها. ثم لاحظت فجأة أنها لا تعرف حتى نوع المصنع الذي يملكه. ماذا لو كان مصنع مشبوه؟ وبدأت الأسئلة بتعذيبها. من المستحيل أن تكون قد

بنت علاقة مع تاجر ممنوعات. ما هذا الشيء الذي تفكر به، وهل أن هذه الجريمة أسوأ من تلك؟

تململت باريسا في سريرها بقلق، فقد كان يجول في عقلها ألف سؤال وسؤال. ففي الأسبوع الماضي كانت تسخر من فكرة الوقوع في حب مجرم، ولم تكن تفهم فكرة ضياع بعض النساء في سبيل الرجال، وكانت تفسر هذا التصرف على اساس أنه ضعف في شخصيتهن. أما الآن، فقد بدأت تتفهم قوة الحب الخارقة. فبرفقة لوك لم تكن تهتم لأي أمر اكثر، لأنها لم تكن تبغي غيره. هل يمكن أن يصدق ذلك المفهوم القديم الذي يقول بأن الرجل إذا وقع في حب امرأة طيبة قد يتأثر بهذه الطيبة؟

لقد فكرت بكل المغامرات المتهورة في تاريخ عائلتها والتي كان بعضها خارجاً عن القانون، وتذكرت تحذيرات جدتها التي كانت تنصحها بالسيطرة على الجانب المتهور في شخصيتها. لقد كانت تعتقد أنها نجحت في ذلك حتى حصل لها ما حصل. هل أصبحت حمقاء لهذه الدرجة؟ وأخيراً خلدت إلى النوم وهي تختلق الأعذار المثيرة للشفقة لسكوت لوك.

يوم الأحد كانت باريسا قد استنفذت كل اعذارها، لقد قامت بالمطلوب منها خلال الأيام القليلة الماضية، فكانت تبتسم أمام مويا في الوقت الذي كانت تبكي فيه من الداخل، ولكن الآن عليها أن تتقبل حقيقة أن لوك لن يأتي ولن يتصل. من الأفضل لها أن تعود إلى سرايا هاردكورت وتحاول أن تتناسى هذا الجزء الأليم من حياتها وترميه خلف ظهرها. فلديها الآن عملها، وبيتها، ولديها ديفيد.

لقد كان لوك نذلاً وقام باستغلالها والآن انتهت القصة... إلا أن شيئاً لا يستطيع أن يسكن جراح قلبها وشعورها الرهيب بفقده.

وضبت باريسا حقيبتها ثم جلست كئيبة إلى مائدة الفطور لارتشاف فنجان من القهوة.

«باريسا انظري إلى هذا.» قالت مويا ذلك، ثم قربت جريدة الأحد منها وتابعت: «لقد ألقي القبض على النذل.»

حدقت باريسا إلى الصورة التي كانت تشير إليها مويا، فدهشت لما رأت. لقد رأت صورة لوك، ولكن اصبع مويا لم يكن يشير إليه بل إلى صورة الرجل الواقف إلى جانبه، وهنا ازدادت سرعة خفقان قلبها وهي تقرأ.

لم تستطع باريسا أن تصدق. ما تقرأ... إنه أمر غير معقول...

لوك دي ماغي أحد أشهر المقاولين في اوروبا امتلك الاسبوع الماضي، كجزء من ملكيته لشركة ضخمة قام بشرائها، أحد فنادق لندن، وأول ما قام به بصفته المالك الجديد هو طرد مدير الفندق والابلاغ عن عمليات احتيال لويجي رينو التي بلغت ألوف الجنيهات إلى الشرطة يوم الخميس، فتم اعتقاله.

«هل هذا هو الرجل الذي...؟» سألت باريسا مويا باندهاش وهي تشير إلى صورة الرجل ذي الوجه البيضاوي الذي يقف إلى جانب لوك في الصورة.

«انت تعرفين انه هو يا باريسا. لا بد وأن الشرطة قد ألقت القبض عليه بعد عودته إلى انكترا.»

بدأت باريسا بالضحك بشكل هستيري لدرجة أنها لم

تستطع تمالك نفسها، فلقد كانت قد ذهبت إلى ايطاليا مع الشخص الخطأ...

في هذه الاثناء وصل سيمون، الذي لم يفسح في المجال لباريسا بالتفكير بعظمة اكتشافها، بل رافقها إلى الخارج ومباشرة نحو السيارة، كان سيمون في عجلة من أمره، فأوصلها إلى محطة السكك الحديدية ومن ثم تابع طريقه نحو نورفوك.

بعد نصف ساعة تقريباً، كانت باريسا وحيدة في القطار. ففتحت الجريدة وقرأت الخبر للمرة الثانية وهي مندهشة مما تقرأ. يبدو أن حياة لوك المهنية قد بدأت بمساعدة والده الخباز الذي كان يملك مخبزاً صغيراً في إحدى القرى الصغيرة. وبعد وفاة والده، وسع عمله إلى مجموعة من المخابز، وأسس سلسلة من مطاعم البيتزا التي انتشرت في اربع قارات. ولم يكتف بهذا بل نوّع في عمله، فعمل في مجال الشحن البحري والعقارات، وأصبح الآن المالك الوحيد لإحدى أكبر الشركات المنتشرة في جميع أنحاء العالم.

إلا أن ارتياح باريسا لاكتشافها أن لوك ليس محتالاً لم يدم طويلاً، لأن غمامة من الحزن سيطرت عليها. فعندما كانت تعتقد انه محتال، كان كرهها لنشاطه سبباً كافياً للقضاء على حبها له. أما الآن، فبعد أن عرفت أنه مليونير وأنه ليس محتالاً كما اعتقدت، لم يعد هناك من سبب لتكرهه، ولكن عذابها النفسي ازداد إلى حدٍ يصعب تحمله.

كم كانت غبية عندما تصورت أن رجلاً ناضجاً وعالي المقام مثل لوك يمكن أن يقع في حبها، لقد كانت سذاجتها

www.elromancia.com

مشابهة لسذاجتها عندما كانت في الرابعة عشرة من عمرها عندما التقت لوك للمرة الأولى، وهذا هو التفسير الوحيد لغبائها، قالت باريسا في نفسها بحزن شديد. فالقصر، والطائرة والسيارة... كلها أمور تصرخ بالثراء. لقد كان يتوجب عليها معرفة ذلك... لأن الحياة لم تقدم لها مثل تلك المعطيات التي تجعلها من طبقة أصحاب الطائرات الخاصة، وهي الطبقة التي من الواضح ان لوك ينتمي إليها.

لقد كانت تتمتع بكل الحسنات الاجتماعية التي تعلمتها من والديها ومن المدرسة الداخلية، ولكن المرحلة الأخيرة من سن المراهقة قضتها في التمرين والتحضير للألعاب الأولمبية، فلم يسنح لها الوقت لإقامة علاقات صداقة مع الجنس الآخر كما كان يفعل اترابها، وعندما تركت رياضة التجذيف توجهت مباشرة لتدريس الرياضة في إحدى المدارس الخاصة. أما بالنسبة لحياتها المنزلية، فقد كانت اقامتها في السرايا برفقة ذلك الثنائي العجوز تناسبها تماماً، فلقد كانت، وسوف تظل في الصميم تلك الفتاة الريفية بغض النظر عن وضع لوكا دي ماغي العالي المقام.

فعندما دخلت باريسا بيته وجلست مع والدته العجوز التي كانت فرحة بوجودها، استسلمت لكلامه الرقيق، فقبلت الأمر بسذاجة مفرطة مما دفعه إلى الاعتقاد بأنها سهلة، ولكن الخطأ هو خطأها هي لأنها وافقت على البقاء في إيطاليا، ووافقت على خداع كل من حضر الحفلة. ولكن لوك تمادى في الخداع، فقد تقرب منها دون أن يلقى أية معارضة من جانبها، مع أنها كانت تعرف جيداً أنه لا ينوي أن يراها ثانية. لقد قضت خمسة أيام في لندن في ضيافة

مويا، وعاشت كل دقيقة من هذه المدة على أمل أن يتصل هاتفياً أو أن يأتي، ولكنها عرفت الآن أنه لن يفعل ذلك أبداً.

كان لوجود باريسا في شقته أثر كبير على تفكيره. فقد تذكرت الآن رد فعله عندما اتهمته بابتزاز مويا وقوله: «اتعتقدين بأنني أبتز هذه الفتاة؟» ربما كانت باريسا محقة في تفكيرها، لأن الرجل لم ينكر هذا الاتهام واستعمله لخدمة اغراضه الخاصة. فاصطحب معه إلى ايطاليا خطيبة مزيفة ذات نسب أصيل لإرضاء أمه وللانتقام من باريسا التي تسببت في احراجه في السنوات الخوالي. فلقد ذكرت ابنة عمه تينا أن لوك أقسم على الانتقام في ذلك الوقت.

كان الألم يمزق أحشاء باريسا، وشعرت بقرف عندما تذكرت شغفها للبقاء معه في الوقت الذي كان يسيطر فيه على نفسه سيطرة كاملة. لا عجب إذن في أنه لم يصدر أي اعتراض عندما أخبرته بأنها ستعود إلى انكلترا ولعله كان يتمنى أن تعود قبل أن تطلب منه ذلك.

ارتسمت ابتسامة استهزاء على شفتي باريسا عندما تذكرت قوله: «ضعي خاتمي.» جوهرة مزيفة لقصة حب مزيفة، إنه أمر مناسب تماماً. لا، لا، ان الأمر لم يكن قصة حب، قالت باريسا بصراحة مريرة.

مسحت باريسا عينيها الدامعتين بيدها المتعبة. فقد حولها لوك دي ماغي إلى شخص كريه وهي التي لم تكن تتصور أن تصبح هكذا. هل سبق له وأن اخبرها الحقيقة حول أي أمر. قالت باريسا متسائلة. من الممكن ومن المحتمل، أن لا يكون قد حصل أي حادث في نابولي. ومن الممكن أن تكون المخابرة الهاتفية حول أي شيء آخر،

www.elromancia.com

فباريسا لا تتكلم اللغة الايطالية، ومن السهل على لوك أن يكذب عليها دون أن يخاف من اكتشاف أمره.

في هذا الوقت كانت باريسا قد دخلت أخيراً البوابة الرئيسية لسرايا هاردكورت وبدأ حزنها الشديد يتحول ببطء إلى غضب جارف. لقد كانت مجرد بلهاء لا أكثر ولا أقل. سوف تعود غداً إلى المدرسة وتذهب من بعدها مباشرة إلى محاميها للبحث في ما يمكن اجراؤه لوضع السرايا الحالي المزري، لقد عادت الآن للواقع ولمتاعب الحياة اليومية، ولن تسمح ثانية لمشاعرها بأن تتحكم بتفكيرها السليم.

قادت باريسا سيارتها البيتل القديمة بانتباه شديد عبر برايتون، فعلقت في زحمة السير، ثم وصلت إلى الشارع الرئيسي، وبالكاد لاحظت أنها تقود سيارتها عبر هايلشام وقرية «ماغوم داون» الصغيرة، فبعد مرور شهرين على عودتها من ايطاليا أصبحت تشعر بأنها كبرت عشر سنوات. ولكن اليوم كانت مرتاحة لأنها توجهت إلى المصرف وأودعت شيكاً بقيمة ستين ألف جنيه استرليني، وهو مبلغ ليس بالسيىء.

أخيراً، بدا لها أن أمراً ما في حياتها يسير على مايرام، ويعلم أنها تستطيع أن تنجح في حياتها إذا ما تغير حظها، بعدما عانته في الاسابيع الماضية. لقد ضغطت على نفسها لكي تتابع حياتها بشكل طبيعي، فلبت دعوتين من ديفيد للسهرة، ولكنها كانت تعلم أنها ليست عادلة معه، فأخبرته بأنها لا تصلح لأن تكون صديقة له.

عادت باريسا إلى عملها في اليوم الذي تلا عودتها من

لندن، بعد أن أصبحت أكثر حزناً وأكثر حكمة في نفس الوقت. لقد كانت مضطرة لأن تتقبل الحقيقة المريرة التي كانت تعرفها جيداً، وهي أن لوك لا ينوي أن يراها ثانية. فكل كلامه الجميل ذهب أدراج الرياح. لقد تصرفت بتهور تماماً كما وصفها لوك، وهذا وحده كان سبباً كافياً لأن يجعلها تفقد ثقتها بنفسها.

ان الشيء الوحيد الجيد الذي حدث لها في هذه الأسابيع هو ان السيد جارفيس قد تمكن أخيراً من إيجاد طريقة لتحصل بها على المال، فقد كانت سهلة جداً. لم تكن باريسا تنوي بيع السرايا، ولم تكن تستطيع تحويلها إلى فندق أو ما شابه. فاقترح عليها السيد جارفيس بيع اسم ولقب السرايا. «سرايا اللورد هاردكورت.»

يبدو أن القانون الذي صدر عام ١٩٢٢ يسمح بفصل الاسم عن الملكية. وهكذا صار في امكان باريسا من الناحية القانونية أن تبيع اللقب دون ان تبيع العقار. فاتصل السيد جارفيس بسمسار عقارات وبمخمن، فكانا سعيدين بتولي أمر هذه الصفقة.

بعد أربعة أسابيع، توجهت باريسا إلى نورفوك لحضور حفلة زفاف مويا. فرسمت الابتسامة على وجهها ولعبت دور الصديقة السعيدة. ومن الغريب ان باريسا بدأت باسترجاع عافيتها في هذه الحفلة. ربما كان سبب ذلك رؤيتها للسعادة التي كانت تغمر مويا، الأمر الذي أقنعها بأن على الحياة أن تستمر وبأنها لم تقم سوى بغلطة واحدة. فهي لم تكن أول من خدع بسحر أحد الرجال ولن تكون آخرهن، كما أن السبب الآخر لسعادتها هو ما أخبرها به

www.elromancia.com

السيد جارفيس عند عودتها إلى البيت وهو أنه وجد شارياً للقب السرايا.

ابتسمت باريسا وهي تقود سيارتها عبر منعطف ضيق. لقد كرهت ديدي الفكرة ونصحتها بعدم اللجوء إليها، ولكن باريسا نفذت ما كانت تريد، ولا زالت حتى الآن مستغربة سهولة الأمر: «سرايا اللورد هاردكورت.» أخيراً اصبحت مشاكلها منتهية تقريباً، وعلى الأقل اصبحت الآن قادرة على ان تجري بعض التصليحات الضرورية في بيتها، وتأمل في أن تقدم لديدي وجو بعض المساعدة لضمان شيخوختهما.

بالنسبة لديدي، فعليها أن تعاملها برفق، لأن العجوز لم تتوقف عن الثرثرة على مسامعها منذ أن اخبرتها بأمر الصفقة. ولكن على كل حال، انتهى الأمر الآن وعلى ديدي أن تتقبل ما حصل...

لقد توقفت الدراسة في المدرسة يوم الجمعة الماضي بمناسبة فرصة عيد الربيع. أما اليوم، فهو الاثنين، وقد التقت باريسا بمحاميها لإنهاء معاملات الصفقة. لقد خف العبء عن باريسا، وأخيراً، بدأت حياتها بالعودة إلى مجراها الطبيعي...

في هذه الأثناء قطع صوت بوق أحد السيارات حبل أفكار باريسا، فتشبثت بالمقود باحكام، وركزت كل اهتمامها على الطريق أمامها حتى وصلت إلى سرايا هاردكورت.

وبابتسامة واضحة على وجهها، دخلت باريسا البيت، فرمت بمعطفها وحقيبة يدها على الكنبة وصرخت: «ديدي، أخبار جيدة.»

حضرت مدبرة المنزل العجوز وهي تمشي ببطء قادمة من غرفة الجلوس.

«نعم، لاحقاً يا آنسة باريسا، ولكن أولاً...»

«لا. اسمعي يا ديدي، لقد رأيت السيد جارفيس، وقد انتهت الصفقة وأصبح الشيك في المصرف.» ثم سكتت لتلتقط أنفاسها ولترى رد فعل ديدي.

«لا تأبهي لذلك يا فتاتي البلهاء. ولكن لماذا...» قال صوت من بعيد.

عادت باريسا وفكرت في ما تسمع، فقاطعت ذلك الصوت وتابعت كلامها: «ستون ألفاً يا ديدي. فكري بالأمر، فبذلك المبلغ نستطيع أن نرمم سطح المنزل.»

«ما زلت متهورة كما كنت يا باريسا.» قال ذلك الصوت الساخر والمألوف مرة ثانية.

هزت باريسا رأسها، فهل بدأت تسمع اصواتاً غير موجودة؟ ثم نظرت إلى خلف ديدي وتجمدت في مكانها. لقد رأت هيئة رجل يقف قرب باب غرفة الجلوس، فبدا طويلاً، لا بل طويلاً جداً.

«هذا ما كنت أحاول أن أخبرك إياه يا آنسة باريسا.» قالت ديدي باشمئزاز ثم تابعت: «لقد وصل خطيبك منذ ساعات وكان يتوجب عليك اخباري بذلك لأنني في البدء لم استطع أن اعرف عما يتحدث السيد لوك. لم أعرف ما كان يقصد إلا بعد أن اخبرني عن العطلة، فتذكرت رؤية ذلك الخاتم الجميل في يدك وأدركت عندها أن لوك يخبرني الحقيقة. كما أن الهاتف لم يتوقف عن الرنين منذ الصباح.»

www.elromancia.com

«أأخبرك أننا مخطوبان؟!» قالت باريسا وهي لا تصدق ما تسمع.

«نعم، وكان يتوجب عليك أنت أن تخبريني بذلك، فمع أنك مخطوبة وعلى وشك الزواج لم تخبري مربيتك بهذا الخبر، ولكن ماذا يهم؟ فأنا لست سوى خادمة في هذا البيت ولا أحد يأخذ برأيي. لقد أصبت بالرعب عندما عرفت أنك تنوين بيع اسم ولقب السرايا، ولو أخبرتني من هو المشتري لكنت وفرت عليّ كل ذلك القلق. لحسن الحظ أن خطيبك أكثر انفتاحاً في اعماله منك. انا ذاهبة لتحضير الشاي، وردي أنت بنفسك على الهاتف.» ثم غادرت ديدي المكان وهي تتمتم بغضب.

بعد أن سمعت كلام ديدي، اتكأت باريسا بيدها على الطاولة لتسند ساقيها المرتجفتين. كان لوك يرتدي سترة جلدية سوداء مفتوحة الأزرار وتظهر من تحتها كنزة فضفاضة من الكشمير ويرتدي بنطالاً أسود. اتجه نحوها، وشعرت لوهلة بأن هذه الهيئة ليست سوى صورة من صنع الخيال، ولكن بعد أن حدقت بوجهه الوسيم أدركت أن ما تراه حقيقة. ثم عم السكون المكان.

لقد كان هذا الشخص هو لوك، ولكن لوك المختلف عن الذي تذكره. فقد أصبح نحيل الجسد، ضعيف الوجه. وشاحب اللون. كانت ثيابه واسعة على جسمه. أما شعره... شعره الجميل، الكث، فقد اصبح قصيراً.

سألت باريسا باستغراب: «ماذا حدث لشعرك؟»

«لقد قصصته، فقد اعتقدت انك تحبين ذلك.»

«ماذا؟» لم تعرف باريسا عما يتحدث فضغطت على

نفسها وأبعدت عينيها عن عينيه، وحاولت السيطرة على مشاعرها المرتبكة. انه موجود هنا في بيتها وأخبر ديدي بأنها خطيبته. يبدو أن النذل اخبر ديدي عن تلك الخطوبة.

«كيف تجرؤ على المجيء إلى بيتي وتخبر مدبرة منزلي بأمر تلك الكذبة الشنيعة؟ فنحن لسنا مخطوبين، ولن نكون كذلك أبداً. أخشى أنني مضطرة لأن أطلب منك مغادرة المكان.» وبحركة دراماتيكية أومأت باريسا إلى الباب الرئيسي وهي مذهولة من نبرة صوتها السلطوية.

«لقد قمت بذلك بشكل رائع باريسا، وكل جزء فيك يوحي بأنك سيدة هذه السرايا، ولكن من المؤسف أن اسم ولقب السرايا لم يعودا ملكاً لك.»

لا بد وأنه سمع الحديث الذي دار بينها وبين ديدي، قالت باريسا في نفسها،فحاولت إبعاده عن الموضوع.

«ان شؤوني الخاصة لا تعنيك يا سيد دي ماغي.» قالت باريسا ذلك وهي مقطبة الحاجبين.

«بما أنني كنت جزءاً من أول علاقة عاطفية في حياتك الشخصية منذ بضعة اسابيع اعتقد أنه يحق لي أن أكون فضولياً.»

تحول لون باريسا إلى قرمزي على وقع تلميحه، فلمعت عيناها الزرقاوان من الغضب وقررت أن ترمي الاخلاق الحميدة جانباً وتصرخ في وجهه ليخرج من المكان، إلا أن لوك لاحظ مدى حنقها، فارتسمت ابتسامة ساخرة على وجهه في الوقت الذي كانت فيه عيناه تحدقان بيديها الصغيرتين المتشبثتين بالطاولة.

«ان قضاء ثلاثة أيام معاً لا يعني أن بيننا علاقة، ولو كنت رجلاً شهماً...»

«ولكنك في ذلك الوقت لم تصدقي أنني رجل شهم، أليس كذلك يا باريسا؟ لقد كنت تعتقدين أنني أحيا حياة وضيعة.» ثم ظهر الغضب على ملامحه وتابع كلامه: «ما بك يا باريسا؟ هل أن كل الرجال أصبحوا لا يعجبونك؟ أم أنك قضيت معي تلك الأيام من أجل الخاتم، فمن الواضح أنك كنت تحتاجين إلى المال.»

«كيف تجرؤ على المجيء إلى بيتي..؟» قالت باريسا ممتقعة الوجه. فقد انتظرت في لندن خمسة أيام من أجل مكالمته الهاتفية، والآن، وبعد مضي شهرين، عاد وظهر في حياتها متهماً إياها بأنها سايرته من أجل قطعة مجوهرات مزيفة.

دخلت ديدي الغرفة وهي تدفع طاولة خشبية قديمة وضعت عليها أفضل الأواني الصينية الموجودة في البيت، بالإضافة إلى طقم الشاي الفضي وصحناً من البسكويت المصنوع في البيت.

«الشاي يا آنسة باريسا.»

صمتت باريسا بعد أن قوطعت من قبل السيدة العجوز. ثم رن جرس الهاتف الموجود على الطاولة والذي لا يبعد سوى انشات قليلة عنها، فمدت يدها بشكل آلي والتقطت السماعة.

تحول لون وجهها من الشحوب إلى الاحمرار خلال بضع ثوان، في الوقت الذي كانت تستمع فيه برعب إلى هذيان ديفيد، الذي قرأ لتوه خبر اعلان خطوبتهما في جريدة التايمز.

«كان يجدر بك اخباري يا باريسا، فأنا لا أستحق هذه المعاملة منك. لهذا السبب إذن قلت لي اننا لن نكون سوى اصدقاء عندما كنت على وشك أن اطلب منك الزواج. كيف استطعت أن تقومي بهذا الأمر؟ ولكن لا عجب، فالرجل ثري جداً.»

«كنت تريد الزواج مني؟» قالت باريسا مرددة كلامه، وزاد لونها احمراراً عندما سمعت قسمه بأنه كان ينوي ذلك ثم أقفل الخط.

مشت باريسا متأرجحة نحو غرفة الاستقبال والغضب يلمع في عينيها، ثم وجهت كلامها إلى لوك قائلة: «قل لي، ماذا...؟» وتوقفت عن الكلام.

جلس لوك على كرسي مجنّح بسيط، ثم نظر إلى ديدي وابتسم ابتسامة لطيفة في الوقت الذي كانت تسكب فيه العجوز فنجانين من الشاي.

قالت ديدي: «اجلسي يا آنسة باريسا، وتمتعي بفنجان الشاي، فأنا أعرف أن بينك وبين السيد لوك مواضيع كثيرة للمناقشة.»

قال لوك بلطف: «شكراً لك يا ديدي.»

فتحت باريسا ثغرها بذهول، فلا أحد يدعو السيدة ترمبيل بـ ديدي سواها هي، ولم تستطع أن تصدق أن لوك استطاع ان يسحر السيدة العجوز بهذه السرعة، ولكن بعد أن رأت الابتسامة الخجولة على وجه ديدي، عرفت أن امرأة اخرى وقعت بسحر لوك الغريزي.

«إن هذا من دواعي سروري يا سيدي.» ثم ناولته فنجاناً من الشاي واستدارت نحو باريسا فناولتها فنجاناً وتابعت

www.elromancia.com

كلامها: «بعد تناول الشاي لِمَ لا تجولي مع السيد لوك في أرجاء المنزل وتخبريه تاريخه؟ فبصفته المشتري الجديد للقب سرايا اللورد هاردكورت سوف يكون مسروراً جداً بهذه الجولة.»

«لقد حدثني ديفيد على الهاتف، وهو...» ثم انتبهت لما قالته ديدي وقالت مذهولة: «المالك الجديد! آه، كلا!»

انهارت باريسا على الأريكة وابتلعت ما كان في فمها من الشاي فكادت أن تحرق حلقها. لقد أحدث وصول لوك المفاجيء تشويشاً كبيراً في تفكيرها، فمنذ نصف ساعة فقط كانت تهنيء نفسها على تخطي الأزمة التي سببها لها وتشكر حظها على عودتها إلى حياتها الطبيعية، أما الآن... فقد سيطر شعور بالصدمة على معنوياتها.

كانت قد باعت اللقب إلى شركة حسبما قال لها السيد جارفيس، وكانت هذه الشركة تنوي استعماله كشعار لها في مراسلاتها. هل يمكن أن يكون لوك...؟

«نعم، انك على حق.» قال لوك قارئاً أفكارها ثانية.

فردت عليه ببرودة وتهكم: «ربما أنك اشتريت اللقب ولكن كان يجدر بمحاميك أن يخبرك ان شراءك اللقب لا يمنحك الحق بالتطفل على هذا البيت.»

قالت ديدي معنفة إياها: «لا تنسي أخلاقك الجيدة يا باريسا.»

شعرت باريسا بالنار تتأجج في داخلها من الغضب، ولكنها ضغطت على نفسها لتتمالك اعصابها كي تستطيع التفكير بما يجري حولها. وبعد ان شربت فنجان الشاي بدأت أفكارها تعود إلى سيرها الطبيعية. كانت تستشيط

غضباً كلما تذكرت أن شيك الستون الف جنيه الذي طارت من فرحها به منذ ساعتين صادر عن لوك. ولكن فيما يخصها هي، فان بيع اللقب لا يعني بالنسبة لها سوى وريقة استطاعت ببيعها أن ترمم سراياها القديمة. كما أنه هناك سرايات اخرى كثيرة منتشرة في أنحاء البلد وضعها شبيه بوضع سراياها، سرايات ومساحات شاسعة من الأرض، ومال قليل لترميمها. بعض هذه السرايات تمّ تحويله إلى فنادق أو استراحات، ولكن باريسا لم تكن تنوي اللجوء إلى هذا الخيار.

ولكن لِمَ يدعي لوك أنه خطيبها وينشر الخبر في جريدة التايمز؟ وما هي هذه الخطة المخادعة التي يحبكها الآن؟ تساءلت باريسا في نفسها بقلق. فاختلست النظر وتفحصت لوك الذي كان يجلس مسترخياً على كرسي والدها المفضل ووجهه يبتسم إلى ديدي التي كانت تناوله قطعة من البسكويت. لقد علقت باريسا مرة ثانية بفخ عينيه اللتين تجذبانها.

بعد أن نظر إليها لوك بهذه الطريقة، شعرت باريسا بالألم يعتصرها، فقد أحست بتقلص في معدتها مما اشعرها لوهلة بأنها سوف تمرض. مهما كان يريده هذا الرجل لا يهم، أما كل ما تريده فهو أن يخرج من بيتها ويغرب عن وجهها ويبتعد عن حياتها... انها تحتقره.

استجمعت باريسا كل قواها للسيطرة على نفسها، واستطاعت أخيراً ان ترد على كلام ديدي.

«في الواقع، ان البيت لا يثير الاهتمام، وأنا متأكدة من أن لوك يريد العودة إلى لندن.» قالت باريسا ذلك بتهذيب، ثم

www.elromancia.com

تشجعت ورفعت عينيها لتلتقي بعينيه وتابعت كلامها مستهزئة: «انه لطف منك ان تأتي لزيارتي ولكن لا أريد تأخيرك.»

إلا أنه ليس من السهل صرف لوك. انبرت ديدي قائلة لتلطيف الجو: «اسمعي يا آنسة باريسا، لا يجب أن تتكلمي بهذه الطريقة مع الرجل الذي سوف تتزوجينه. لقد حجزت لكما طاولة في مطعم الأولد فورج لتناول العشاء. تذكرا، هذه السهرة على حسابي، سوف أذهب الآن لأنهي عملي.»

الفصل السابع

توترت اعصاب باريسا وبدأت تغلي غضباً بعدما خرجت ديدي من غرفة الاستقبال واغلقت الباب وراءها.

«ماذا تظن نفسك فاعلاً؟» ثم انتصبت واقفة ممتقعة الوجه ومرتجفة الجسد تحت تأثير غضبها وتابعت كلامها: «لقد حضرت إلى بيتي مدعياً أنك المالك الجديد للقب السرايا وأنك خطيبي. ما هذه السخافة؟»

«انه ليس سخافة، فخبر اعلان خطوبتنا نشر هذا الصباح في جريدة التايمز، أما بالنسبة إلى شراء اللقب، فقد حصلت مصادفة غريبة، وهي ان سمسار العقارات الذي استخدمتيه لبيع اللقب هو موظف من الشركة العقارية التي اشتريتها مؤخراً. عندما رأيت اسم هاردكورت، لم استطع ان اقاوم الاغراء فاشتريت اللقب، لأني وجدته مناسباً جداً.»

ان كلامه صحيح، قالت باريسا في نفسها، فقد كان بريق الانتصار واضحاً في عينيه. وفجأة فكرت بجسامة العمل الذي قام به لوك، آه، لقد ادركت ان كل شخص الآن في البلد سوف يعرف بما حصل لها.

«يا لحظي يا باريسا! انك تملكين وجهاً بريئاً، ومع هذا فإن قلبك قاس كالحديد.» قال لوك مبدداً ذلك السكون الذي عم المكان.

تغير لون باريسا على وقع الجزء الأخير من تعليقه، فلو ان شخصاً ما يملك قلباً من حديد فهو لوك. ولكن قبل أن تفتح

www.elromancia.com

فمها لترد عليه، نهض منتصباً على قدميه واقترب نحوها وامسكها من كتفيها.

تسمرت باريسا في مكانها وامطرته بوابل من نظراتها الساخطة التي كانت تتهاوى على عينيه المتعجرفتين.

جال لوك بنظرته الباردة الساخرة على وجهها الغاضب وقال: «لقد مل منك صديقك المسكين، فهل ازعجت نفسك واخبرتيه بأنك أمضيت يومين برفقتي؟» وهنا اشتد وجه باريسا امتقاعاً، فتابع كلامه: «بالطبع لا، لقد حان الوقت الآن لأن تتحملي نتائج تصرفاتك الأنانية، وأنا سوف اتكفل بهذا الأمر.»

زادت كلماته من غضبها. كيف يجرؤ هذا النذل على أن يدعوها بالأنانية؟ وبدون اي وعي رفعت يدها لصفعه، الا انه امسك بيدها ولواها خلف ظهرها ثم جذبها نحوه.

ظهر الغضب والتوتر واضحين بينهما كعاصفة هوجاء، لم تستطع باريسا ان تصدق ما يجري لها عندما وجدت نفسها تترنح بين ذراعيه.

«اياك ان ترفعي يدك ثانية يا باريسا، فأنا لا انوي ايذاءك، وهذا ليس سبب مجيئي الى هنا.»

«لماذا أتيت، اذن؟» سألته باريسا وهي تكافح لاستعادة السيطرة على مشاعرها المرتبكة. لم تستطع باريسا ان تستوعب ما يجري لها، وكأن عقلها قد توقف عن اداء وظيفته. فعادت وجلست على الأريكة لعجزها عن الوقوف على قدميها المرتجفتين، وأغمضت عينيها ثم حاولت اقناع نفسها بأن ما يجري لها ليس سوى كابوس، ففي لحظة قد تستيقظ وتعود حياتها الى مجراها الطبيعي.

وببطء شديد فتحت عينيها، وأدركت ان الأمر لم يكن كذلك. فقد وجدت ان لوك غير مكان وقوفه ليقف متكئاً على المدفأة المحفورة من خشب السنديان، فيما كانت عيناه تجولان في أرجاء الغرفة لتستقرا اخيراً على باريسا.

«لقد عرفت الآن لماذا تحتاجين إلى المال يا باريسا، انك تملكين بيتاً قديماً جميلاً، ولكنه يحتاج إلى مبالغ كبيرة من المال لترميمه، كما اني متعجب من قدرتك على استئجار شقة في المدينة، ولكن بعنوان شقة في لندن تستطيعين تضليل الأصدقاء غير المرغوب بهم، وبذلك تستريحين منهم.»

«شيء من هذا القبيل، ولكن من الواضح ان هذه الطريقة لم تنجح معك.»

«انك كاذبة، فهي ليست شقتك، بل شقة صديقتك مويا.»

«وان يكن؟» وفجأة تذكرت يوم ابتاعا الخاتم، لا عجب اذن انه اصر على ايصالها إلى البيت ليتسنى له معرفة عنوانها... لأن المبتز الأصلي كان يعرف مكان اقامة مويا بعكسه هو. كم كانت غبية لأنها لم تلاحظ ذلك في الوقت المناسب، فلو فعلت لكانت وفرت على نفسها الكثير من المتاعب.

«لو لم اعرض اللقب للبيع لما كنت موجوداً هنا.» قالت باريسا ذلك عن غير وعي وكأنها تفكر بصوت عال.

قال لوك ضاحكاً: «أهذه طريقتك في تبرير تصرفاتك؟»

أجابت باريسا بحدة: «ولكني لست مضطرة لأن ابرز لك اي اثبات.»

إن العكس هو المطلوب، فعليه هو ان يبرر تصرفاته

وليس هي. وفي هذه اللحظات، ظهر بصيص امل لباريسا، فكيف استطاع ان يعرف ان الشقة ليست لها لو انه لم يتصل بالمكان بحثاً عنها. ولكنها استبعدت هذا الشعور، فصحيح انه اتصل ولكن بعد عدة اسابيع، ثم عادت وامطرت لوك بوابل من نظراتها السامة.

«عليك ان تفسر لي سبب وجودك هنا وافتراضك السخيف أنني خطيبتك.»

«انه ليس افتراضاً يا باريسا بل حقيقة، ولديك خاتم ثمين يثبت صحة ما اقول.»

«أهو تلك الحلية المزيفة التي ادت دورها بالنسبة اليك؟» اجابت باريسا ببرودة لتخفي استياءها العميق. فقد حصل على قيمة تلك الحلية المزيفة في اليومين اللذين قضياهما معاً في ايطاليا.

«لو كنت مكانك لما اسميت قطعة من الماس الأبيض والأزرق بالحلية المزيفة. لقد كنت جيدة معي، ولكن ليس لدرجة ان ادفع ثروة مقابل تمثيلك أمام والدتي.» قال ذلك ساخراً وعيناه تنظران إلى عينيها، فلم تستطع ان تخفي الصدمة التي سببها كلامه.

ماذا يقول هذا الرجل؟ هل أن ذلك الحجر الذي يزين خاتمها قطعة أصيلة؟ لم تستطع باريسا ان تصدق ما تسمع، فقد كانت تعرف ان الماس الأبيض والأزرق من اغلى انواع الماس الموجود في العالم.

قال لوك ساخراً: «أنا متعجب من انك لم تبيعي هذا الخاتم رغم حاجتك الى المال. ام انك بعته؟» فجمدت على اريكتها.

قالت متلعثمة: «كلا، ماذا تريد يا لوك؟ اتريد استرجاع الخاتم؟» ثم نهضت عن الأريكة وهي تنظر اليه مرفوعة الرأس، فتوجهت نحو الباب وتابعت: «سوف احضره لك ثم يمكنك الرحيل.»

قال لوك آمراً: «كلا، ابقي هنا.» فاستدارت ويدها ماتزال ممسكة بمسكة الباب.

قالت مستفسرة ببرود: «هل هناك شيء آخر تطلبه مني؟ انك تدهشني، فلقد اشتريت لتوك لقب السرايا، ولكن العقار ليس للبيع، وعليك ان تكتفي انت وامك بتلك الوريقة وبذاك اللقب.»

لقد كانت آنا جينيتي على حق، قالت باريسا في نفسها، فأسرة دي ماغي لا يبحثون سوى عن المراكز الاجتماعية، وهو امر لا تستطيع تحمله.

سيطرت مسحة من الحيرة ثم الغضب على عيني لوك السوداوين وهو يسمع كلامها الجارح. استجمعت باريسا كل قواها للصمود من دون خجل في وجه نظرته المتفحصة. ودهشت عندما رأت غمامة من الحزن والأسى تسيطر على تقاسيم وجهه.

«ان امي في المستشفى الملكي في لندن وتعتقد باننا مخطوبان، وقد وعدتها بان اصطحبك لزيارتها. لذا أعلنت خبر الخطوبة في جريدة التايمز كبديل في حال لم اجدك في البيت. لقد اعتبرت ان الاعلان الرسمي للخبر قد يطمئن امي. انها مريضة جداً، ولا اريد ان تكون حزينة او قلقة.»

اذن هذا هو السبب... وبسرعة صدقت باريسا ما يقول،

www.elromancia.com

ولِمَ لا تصدقه؟ بالطبع، فهو لم يبحث عنها بسبب مشاعره نحوها، وقد كان هذا واضحاً في كلامه.

«أنا آسفة بشأن والدتك، ماذا حصل لها؟» لقد بدا الأمر وكأن حاجزاً غير مرئي يفصل بينهما، فقد كانا يتحدثان مع بعضهما وكأنهما غريبين مهذبين، وهذا الأمر كان يناسب باريسا تماماً.

«لقد تعرضت لنوبة قلبية منذ بضعة أسابيع، وسوف تجرى لها عملية جراحية يوم الخميس.»

«لقد فهمت.»

«أهذا يعني انك سوف تذهبين معي لزيارتها يوم غدٍ.»

لقد كانت باريسا حزينة جداً لمرض السيدة دي ماغي، ولكنها لم تكن تنوي التورط ثانية مع لوك او عائلته، فمرة واحدة تكفي.

«أخشى انني لا استطيع.»

«انك مدينة لي... وأنا الآن اجمع ديوني.» قال لوك ذلك وعيناه تتأججان بالغضب، ثم اقترب منها.

أدارت باريسا مسكة الباب مصممة على الخروج من المكان، ولكنها فوجئت بديدي داخلة الى الغرفة.

«أعتقدت انه من الأفضل ان اخبرك بان سائقك قد عاد وهو ينتظرك في المطبخ.»

الآن عرفت باريسا، لِمَ لم تر سيارة في المرآب عند وصولها إلى البيت، ثم تابعت ديدي موجهة كلامها إلى باريسا: «لقد حجزت طاولتكما ابتداءً من الساعة السابعة، وهذا يعطيك متسعاً من الوقت لكي تجولي مع السيد لوك في أرجاء المنزل. عندما تذهبين غداً لزيارة والدته...»

«لن اذهب لا الى العشاء ولا الى لندن يا ديدي.»

«ما هذا الهراء يا فتاة؟ بالطبع سوف تذهبين، اذ لا يمكنك ان تخذلي السيد لوك وحماتك العتيدة.»

«ولكن...» لقد كان على باريسا ان تعرف طباع ديدي جيداً بعد هذا العمر الطويل الذي قضياه معاً، اذ ما من سبيل للتغلب عليها في هذه المجادلة.

بعد عشر دقائق كانت باريسا تستعرض اللوحات المتنوعة المعلقة في الرواق الكبير، ثم تقود لوك صعوداً إلى الطابق العلوي وهي تتساءل عن حقيقة ما جرى لها.

«انتبه للسجادة.» قالت باريسا جملتها بشكل آلي عند وصولهما إلى القسم الممزق منها.

توقفت باريسا امام لوحة زيتية ضخمة واستدارت نحو لوك الذي كان يقف الى جانبها.

«لقد عاشت عائلة هاردكورت في هذا البيت منذ القرن الثاني عشر. وقد منح حاكم المنطقة في ذلك الوقت السلطة الاقطاعية لأحد اجدادي في مقابل القتال في جيشه، اذ لم يكن في ذلك الزمن بيع للألقاب كما يحصل الآن. لقد تم ترميم البيت اكثر من مرة عبر القرون، وكانت آخر مرة عام ١٨٥٠، هذه صورة الليدي بينيلوت، وهي من أقدم هذه اللوحات.» لقد كانت صورة لامرأة في الزي الذي كان سائداً في القرن السابع عشر. وقد بدت شبيهة جداً بباريسا وتملك ذات الشعر الطويل الأشقر.

ثم تابعت باريسا كلامها وهي تصف اللوحة: «كان زوجها قبطاناً وتوفي خلال احدى الرحلات البحرية. وقد سرت شائعات في تلك الفترة تقول انه كان قرصاناً. لم يترك

لها سوى ابنة وحيدة وهذا البيت. في تلك الأيام كان يمكن توريث العقار إلى الذكر الثاني في العائلة، وصودف أن الذكر الثاني كان من قرابة بعيدة، فكان شهماً وتنازل عن حقه المكتسب وسمح بتلطف منه بتغيير الوصية، وبذلك صار يمكن توريث العقار إلى اول مولود في العائلة بغض النظر عن جنسه.

وقد كان تغيراً جذرياً في الورثة، وهكذا تم توارث السرايا عبر سلسلة من الورثة الذكور والاناث منذ ذلك الحين. وهذا هو السبب في ان بعض اللوحات تحمل اسماء عائلات مختلفة، والاسم الأكثر تردداً هو اسم هاردكورت.»

وهكذا انهت باريسا كلامها، فبدت مثل دليل سياحي، ولكنها لم تأبه للأمر.

«انه امر مثير، وقد كنت اتساءل عن سبب تغير اسم العائلة في اللوحات.»

«نعم، انه امر غير عادي.»

قال لوك وهو ينظر اليها: «لقد كانت جميلة جداً، وأنت تشبهينها.»

شعرت باريسا بالارتباك بعد ان سمعت اطراءه.

«من حسن الحظ انه تم توارث البيت بهذه الطريقة التقدمية، لأن الحظ السيىء قد حلّ على رجال عائلة هاردكورت، فقد توفي معظمهم بطرق غريبة.» ثم اشارت إلى اللوحة التالية وهي صورة رجل يرتدي ثياباً انيقة وتابعت: «انه هيوبرت هاردكورت، لقد ذهب في رحلة صيد نمور الى الهند وافترسه أحد الوحوش التي كان قد نصب لها فخاً، أما الذكر الثاني في العائلة، فقد فقد في مجاهل

افريقيا. أما بالنسبة للنساء، فقد كان معظم ازواجهن من المتهورين والمغامرين.» ثم مشت قليلاً ووقفت امام لوحة سيدة ثانية ترتدي ملابس من زي عشرينات هذا القرن.

«حتى ان النساء اللواتي لم يتزوجن لم يكن حظهن أفضل من المتزوجات. هذه صورة باتريسيا، كانت من المطالبات بحق المرأة في الانتخاب وانتهت في السجن. بعد أن انهت فترة سجنها، قتل شقيقها في الحرب العالمية الأولى. فعاشت مع ابن وابنة اخيها، وقبل ان يتمكن ابن اخيها وهو الذكر الوحيد في عائلة هاردكورت في تلك الفترة من ان يبدد ما تبقى من ثروة العائلة، فتحت حساباً مصرفياً لصيانة السرايا. فمن سوء الحظ ان الوصية تنص على ان يبقى هذا المكان ملك العائلة.»

قال ضاحكاً بصوت منخفض: «هذا يفسر الكثير.»

نظرت باريسا إليه مستغربة سبب ضحكه، اذ ليس ثمة ما يضحك. عندما كانت باريسا صغيرة السن اخبرتها جدتها التي لا تنتمي إلى عائلة هاردكورت والتي كانت رقيقة جداً، كل تاريخ العائلة. ولم يزعج باريسا ان اجدادها كانوا متهورين او مغامرين. لقد كانت تحب والدها، ولمها كانت مغامرة تماماً كالرجل الذي تزوجته، وبصفتها طفلة، كان والداها يتركانها دائماً وراءهما كلما انطلقا في مغامرة جديدة. ولم تدرك خطورة ما كانا يقومان به الا بعد ان توفيا. بعد ذلك بدأت جدتها بمحاولة لفت نظرها إلى اهمية الابتعاد عن مثل هذه المغامرات الطائشة وعدم التصرف على طريقة والديها، فلقد كانت تقع على عاتقها مسؤولية السرايا وساكنيها. وبعد وفاة جدتها، حاولت باريسا ان

www.elromancia.com

تقضي على الجانب المتهور في شخصيتها، ولكنها صدمت عندما وجدت ان هذا الأمر وراثي وفي طبيعتها. ولكنها تكره ان يقال عنها انها متهورة او طائشة.

«اني لا اجد ما سمعته مضحكاً، فلو كان لأي شخص منهم، حس بالمسؤولية، لما تورطت بهذا البيت الذي لا استطيع ان ابيعه او ان اتحمل مصاريفه.»

سأل لوك مستفهماً: «وماذا حدث للحساب المصرفي؟»

«ان بضعة آلاف في فترة العشرينات كانت تعتبر ثروة اما اليوم، فان المال بالكاد يغطي اتعاب جو وديدي. أما بالنسبة إلى السرايا فان الوصية تمنع بيعها وصك الملكية يمنع استعمالها للعمل.»

«ولكن من الممكن تغيير صك الملكية.»

قالت بتهكم: «وهل تعتقد اني لم احاول ذلك؟ فبوجود اثنتي عشرة غرفة يمكن ان أحوّل هذه السرايا إلى فندق، وبذلك احصل على مدخول جيد، ولكن السيد جارفيس ابلغني انه لا يمكن ذلك. اما الآن، وبفضل سعيك وراء المراكز الاجتماعية صار يمكنني ترميم السقف وربما تحسين التدفئة.»

تجاهل تهكمها وأجابها بنبرة تجارية صرفة:

«ولكن هذا ليس حلاً طويل الأمد، اسمعي نصيحتي، فان هذه التصليحات قد تكلفك ضعف المبلغ الذي دفعته لك.»

ثم امسك بذراعها، فأجفلت، فأبعد ذراعه عنها.

«في الحقيقة ان هذا الأمر لا يعنيك.» قالت باريسا ذلك ثم ابتعدت كارهة الاعتراف بصحة كلامه حول المال والتصليحات.

«آه، لست ادري، فبصفتي اللورد الجديد...»

«صحيح انك حصلت على اللقب، ولكنك لن تكون ابداً سيداً علي، مهما كان الكلام الذي قلته لديدي.»

«من قال انني أريد ذلك؟» ثم نظر إلى ساعته وأضاف: «لقد قاربت الساعة السادسة، هل تريدين ان تزيدي جمالك بتحضير نفسك؟»

تورد لون باريسا خجلاً على وقع اطرائه.

«نعم، أنا متأكدة انك تستطيع النزول إلى الطابق السفلي لوحدك.» ثم توجهت إلى غرفتها.

اتكأت باريسا على باب غرفة النوم وأخذت نفساً عميقاً، ثم تنهدت في محاولة منها لاراحة اعصابها التالفة. فلوك موجود هنا في بيتها، وهو المالك الجديد للقب، اذ ان الأمر صعب التصديق. دخلت باريسا ببطء غرفة النوم وجلست على السرير، فهي لم تكن غبية لدرجة ان تصدق انه قام بهذه الزيارة من اجلها، لقد انتظرت خمسة ايام في لندن من أجله، وحتى لو انه لم يكن يستطيع مغادرة ايطاليا، فقد كان في إمكانه ان يلتقط سماعة الهاتف ويتصل بها. ان سبب وجوده هو امه، وهي تستطيع ان تقدر مشاكله، كما تشعر بانها مسؤولة عن هذه المشاكل نوعاً ما، فلقد كانت قد اقنعت السيدة دي ماغي بانها سوف تتزوج من ابنها. ومما يزيد من همومها الشيك الذي استلمته من السمسار أو معرفة ان ذلك الشيك صادر عن لوك كان حقيقة يصعب تحملها.

لقد كان يراودها شعور بأن لوك لن يقبل باسترجاع المال في مقابل اعادة اللقب إليها. ولِمَ يقبل؟ فمثل هذا

المبلغ من المال لا يؤثر على رجل ثري، ولكن صحة امه تعني الكثير بالنسبة اليه.

لقد كانت تنوي عدم الذهاب لزيارة السيدة العجوز ولكن ضميرها لم يسمح لها بذلك. لقد أخذت ماله، وخاتمه، وهي تشعر الآن بنوع من الواجب...

نهضت باريسا عن السرير، وبدلت ثيابها بسرعة، فارتدت الفستان المخملي الأزرق ليس لأنها تريد تذكير لوك بالفترة التي قضياها معاً في ايطاليا، بل لأنها تريد ان تظهر صورة معقدة لها. أما الخاتم، فهي على الأقل تستطيع ارجاعه. فأخذته ووضعته في علبته ثم نزلت الى الطابق السفلي وتوجهت الى المطبخ. لقد كان عليها ان تكلم ديدي وتشرح لها أن الأمر كان مجرد غلطة، فهي لم تكن تريد جرح مشاعر السيدة العجوز. ومن سوء الحظ، انها طلبت منها عدم تبرير موقفها وقالت انه لا وقت لتضيعه، وطلبت منها الذهاب إلى غرفة الاستقبال.

لقد زاد من عدائية باريسا تقبل ديدي الأعمى للوك. لذلك، توجهت اليه بثقة كبيرة ووضعت علبة الخاتم في يده.

«انه لك يا سيد دي ماغي، أنا واثقة انك لن تجد أية صعوبة في العثور على من تضعه في اصبعها.»

«باريسا، يا حلوتي، لم اعرف انك رومنسية.» ولدهشة باريسا فتح لوك العلبة واخذ الخاتم، ونظر بضعف إلى وجهها الغاضب.

«سوف تتزوجينني، اليس كذلك يا باريسا؟» ثم وضع الخاتم في اصبعها امام ديدي المبتسمة.

«لا.» قالت باريسا بصوت مبحوح، ولكن جوابها لم يسمع بعد ان غطت عليه ديدي بكلامها المادح.

«يا لك من رجل شهم يا سيد لوك؟»

بعد أن سيطرت مسحة من الاحراج الممزوج بالغضب على وجه باريسا، وجدت نفسها تجلس على الأريكة وتشد على يديها من الغضب.

قالت ديدي: «سأخبر السائق بأنك جاهز للرحيل.»

انتظرت باريسا المتوترة الأعصاب حتى خروج السيدة العجوز، ثم نظرت بعينين قاسيتين إلى الرجل الواقف في مواجهتها وسيطرت على نفسها لدرجة لم تكن تعتقد انها قادرة عليها، ثم قالت: «سوف اضع هذا الخاتم ليوم واحد فقط، وسوف اذهب معك لزيارة والدتك، وليكن واضحاً أني أقوم بهذا الأمر من اجل السيدتين العجوزين وليس من اجلك... وفي المقابل، عليك ان تنشر خبر فسخ الخطوبة في الجريدة بعد بضعة ايام وألاّ تأتي إلى هنا ثانية، موافق؟»

«إذا كان هذا ما تريدينه، فأنا موافق. ولكن لنناقش هذا الموضوع على العشاء.»

ان كل ما ارادته باريسا هو ان يعود بها الزمن شهرين الى الوراء، لكي لا تعود وتلتقي بلوك ثانية، ولكن للأسف ان هذا الأمر مستحيل...

يقع الأولد فورج في منطقة ماغوم داون، وهو فندق مبني على طراز الأبنية الانكليزية التي كانت معروفة في القرن السادس عشر، ومطعمه معروف في كل المنطقة بطعامه الشهي.

راقبت باريسا لوك وهو يأكل طعامه، فرفع رأسه مبتسماً وقال: «كلي طعامك يا باريسا قبل ان يبرد.»

«أجل.» قالتها متمتمة دون ان تأبه لذاك القلق الذي جعل يديها ترتعشان، فأبعدت نظرها عنه وبدأت بتقطيع شريحة اللحم في طبقها. وتساءلت للمرة المئة عن الدافع الذي يقودها إلى مرافقة لوك رغم احتقارها له.

«هل ترغب في مزيد من البطاطاس؟» قالت ذلك وهي تقدم الطبق في محاولة لتركيز تفكيرها، ولكنها لم تفلح.

«لا زلت تذكرين شهيتي... لقد غمرتني بلطفك.» قال لوك ذلك ضاحكاً وكأنه يقرأ افكارها، ثم تابع قائلاً: «ولكني اتساءل، هل تذكرين كل شيء؟» ثم اتكأ على كرسيه وهو ينظر اليها ببرودة واضاف: «لا. لا أعتقد، فأنت لم تزعجي نفسك حتى باعطائي عنوانك الصحيح.»

شعرت باريسا بصدمة عندما سمعت كلامه، فلعله كان يرغب في رؤيتها ثانية ويهتم لأمرها، ولكن بعد ان لاحظت تعبير الغضب مرتسماً على وجهه، لامت نفسها على غبائها. لقد انتظرت اتصاله في لندن ولكنه لم يزعج نفسه بالقيام بهذا الأمر، ان كل ما جاء من اجله الآن هو امه.

قالت هامسة: «أخفض صوتك، فنحن في مكان عام.»

«أنا آسف، فأنا لم اقصد ان احرجك.»

يا لك من كاذب قالت باريسا في نفسها، فقد كانت تنوي ان تعرب عن شوقها له، ولكن بعد ان فكرت في الأمر، عادت واخفضت عينيها، لِمَ هو غاضب منها إلى هذه الدرجة؟ فقد كان يتوجب ان يكون الأمر عكس ذلك.

رفعت باريسا كوبها واخذت منه رشفة، فقد كان صاحب

المطعم وزوجته قد قدما لهما زجاجة من العصير الطبيعي كهدية بعد أن رأيا الاعلان المنشور في صحيفة التايمز. لقد كانت باريسا زبونة دائمة، وكانا يعرفانها جيداً، فقاما بهذه البادرة الطيبة، ولكنها زادت من شعور باريسا بالذنب. لم تستطع باريسا ان تسيطر على شعورها المخدوع. فالماسة الضخمة، والشيك الكبير، شيئان كان مصدرهما الرجل الجالس قبالتها، ولم يستطيعا ان يخففا من شعورها بالذنب.

صحيح ان لوك قد خدعها، ولكنه دفع مبالغ طائلة ليحصل على هذا الامتياز.

«لم احضرك الى هنا يا باريسا لكي اجادلك، ان الأمر عكس ذلك. هل تتزوجينني؟»

غصت باريسا وهي تبلع رشفة العصير التي كانت في فمها وبدأت بالسعال وهي عاجزة عن تصديق اذنيها، فحملت منديلها ووضعته على فمها ثم نظرت اليه بعينيها الدامعتين من الغصة.

«لقد كان سؤالاً مباشراً ولم اكن أتوقع ان تغصي، ولكن بعد ان تستطيعي الكلام، اود سماع جوابك.»

«كلا.» قالت باريسا متلعثمة وهي تبلع ريقها بصعوبة وعيناها مفتوحتان على وسعيهما من جراء الصدمة. لقد طلب منها الزواج مرتين هذا اليوم ولو عرض عليها هذا الأمر منذ شهرين لكانت طارت من الفرح. أما الآن، فقد اصبحت اكثر حكمة...

«ما زلت طائشة كما عهدتك يا باريسا، فانت لم تفكري بالموضوع اطلاقاً. فكري في الأمر وكل مشاكلك تحل على الفور. انا رجل اعمال ثري، ولست محتالاً كما كنت تعتقدين.

كوني زوجتي لمدة اسبوعين فقط وزوري امي، وسوف احول مبلغاً كبيراً من المال الى حسابك.»

يا له من مغرور متعجرف. ماذا يعني بقوله انه سوف يحول مبلغاً كبيراً من المال؟ وكأنها سوف تقبل بعرضه...

«ولكنك كاذب. لقد كنت تستمتع بجعلي اعتقد انك محتال وعضو في المافيا، ولم اكن سوى تسلية كبيرة بالنسبة لك. لقد عرفت بالصدفة فقط وعندما كنت اقرأ احدى صحف يوم الأحد أنك رجل أعمال. صحيح انك قدمت لويجي رينو الى المحاكمة ولكنك لم تكن افضل منه عندما استعملت الصور لخداعي. في الواقع انك مبتز مثله تماماً.»

«ولكن ذلك لم يمنعك من السفر معي إلى ايطاليا يا حلوتي.»

«لست في حاجة لأن تذكرني كم كنت بلهاء.» قالت جملتها بحدة والغضب يقطر من عينيها.

«انك لا تعرفين إلامَ تحتاجين؟» قال لوك ذلك قبل أن يركز اهتمامه على الطعام الموجود أمامه.

سيطر تعبير مشوب بالمرارة على وجه باريسا، وتعجبت من امكانيته على قول الكلام الصاعق ومن ثم تجاهله. لقد مرّ ما يزيد على الشهرين على سفرها، والآن أتى ليذكرها بتلك الفترة... ولكي تخفي باريسا صدمتها وخوفها التقطت كأس العصير وشربت ما فيه بجرعة واحدة.

سأل لوك بأدب: «أترغبين في مزيد من العصير؟» ثم ملأ كأسها وتابع: «أنهي طعامك وفكري في الموضوع يا باريسا.» عمّ السكون المكان بسبب انشغال لوك بتناول الطعام الذي بدا واضحاً أنه يستلذه.

«لقد كانت ديدي محقة في كلامها عن هذا المطعم. فقد كان الطعام رائعاً.»

«أجل.» قالتها باريسا بشكل آلي وهي تأكل طعامها بلا تلذذ، لأن عقلها كان عاجزاً عن التركيز على الطعام بسبب أفكارها المشوشة.

«إذا وافقت، نتزوج يوم الخميس عند الساعة الحادية عشرة، ومن بعدها نزور أمي قبل أن تدخل غرفة العمليات.»

قالت متلعثمة: «كلا، أقصد نعم، ان الطعام رائع.» فقد كانت مذهولة من الأحداث التي تتالت في الساعات القليلة الماضية لدرجة أنها أصبحت عاجزة عن التفكير بشكل سوي، الأمر الذي جعلها لا تلاحظ لوك وهو يضحك عليها.

«هل أنتِ متأكدة من انك فكرت بعرضي جيداً يا باريسا؟ فقد كنت تحدثينني في بداية هذه السهرة عن أجدادك المتهورين وتهزأين من عدم قدرتهم على القيام بعمل ناجح، وها أنت الآن ترفضين عرضاً ممتازاً بلا أي تفكير.»

التقت عينا لوك بعينيها وبدت فيهما مسحة من التحدي، فأخفضت نظرها بعد ما نجحت في إقناع نفسها بأنه لم يفعل ما يهددها في السابق، أما الآن فهي ليست متأكدة.

قال متهكماً: «لعلك ورثت التهور عن أجدادك.»

«هذا غير صحيح...» قالت ذلك بحدة بعد أن تلاشى خوفها على وقع تهكمه. «أنا...» ثم توقفت عن الكلام، لقد كان على حق، وهي تسرعت في الرد عليه. ربما حان الوقت لأن تستعمل عقلها بطريقة سليمة، فمنذ اللحظة الأولى التي رأت فيها لوك هذا اليوم، انصبّ تفكيرها على الرد عليه دون أي تركيز، علماً أنه ليس من عادتها التسرع.

www.elromancia.com

«ما الذي تعنيه بالضبط بكلمة عرض؟» قالت مستفسرة وهي تنظر إلى عينيه والشمعة التي تتوسط الطاولة ترخي بظلالها على تقاسيم وجهه الوسيم.

«لقد سألتك سؤالاً مباشراً وواضحاً، وكما قلت لك فإن أمي في المستشفى وسوف تجري يوم الخميس عملية جراحية، وأريدها أن تراني متزوجاً قبل أن تستسلم لمبضع الجرّاح. وأنت، كما أعرف، تحتاجين إلى مبالغ كبيرة من المال لإعادة ترميم بيت العائلة. أعلم أن لديك المبلغ الذي قبضته مني مقابل اللقب، ولكنه لن يكفيك لمدة طويلة وسوف تعودين بسرعة إلى وضعك السابق وحاجتك للمال. في حال قبلت أن تتزوجيني فسوف أخصص لك دخلاً لمدى الحياة، وبالإضافة إلى ذلك سوف أقوم بترميم وتصليح البيت بأسرع وقت ممكن. وفي المقابل فإن كل ما أريده منك هو حضورك كزوجة لي في لندن يوم الخميس ولمدة اسبوعين على الأكثر. إنها صفقة تجارية ناجحة، وكل ما عليك هو أن تعملي بل تمثلي لمدة اسبوعين.»

«اسبوعان من حياتي في مقابل ثروة، هذا كل ما في الأمر؟» قالت باريسا ونبرة السخرية واضحة في صوتها.

«نعم، هذا كل ما في الأمر، وحسب كلام ديدي فقد بقي لديك ثلاثة أسابيع من العطلة المدرسية مما يعني أن اتفاقنا هذا لن يؤثر على عملك وسوف يكون لديك متسع من الوقت قبل أن تعودي إلى مدرستك لبدء التدريس. لا أعتقد ان الوضع يمكن أن يكون مناسباً أكثر من ذلك، فكري يا باريسا وكل مشاكلك المالية سوف تُحل، وسوف

تحصل ديدي وجو على تقاعدهما وتريحين نفسك من هموم إصلاح السرايا. أنا ثري ومستعد لأن أدفع كل ما يلزم لأربح راحة والدتي.»

قالت مستفسرة: «ألن تلزمني بأي أمر آخر؟» لقد كان لوك على حق، فهي ما كانت لتحصل على عرض أفضل لإعادة السرايا إلى وضعها الطبيعي. مسحت باريسا كفيها الرطبتين بتنورتها المخملية، فأخيراً سوف تقدر أن تدفع راتباً تقاعدياً إلى ديدي وجو.

«على الإطلاق. أعدك بذلك. سوف نسجل زواجنا بشكل لائق دينياً ورسمياً في مكتب تسجيل الزواج يوم الخميس، ونقيم في جناح في الفندق ونزور أمي يومياً لمدة عشرة أيام تقريباً وهي المدة التي سيخبرنا فيها الطبيب إذا ما كان وضعها الصحي قد أصبح سليماً للعودة إلى ايطاليا، وعلى اي حال يمكنك العودة إلى سرايا هاردكورت في الوقت المناسب لكي تعودي إلى مدرستك.»

«ألن تجد والدتك اختفائي بعد فترة زواجنا القصيرة غريباً؟» سألت باريسا دون أن تنتبه لبريق الانتصار الذي كان يلمع في عيني لوك كرد فعل على قبولها.

«لا أعتقد ذلك. سوف نخبرها بأنك كنت مشغولة بترميم السرايا. فبما انك سيدة السرايا، من الطبيعي أن تشرفي على كل شيء أما أنا فسأتردد إلى انكلترا بعد امتلاكي لإحدى الشركات. لذا، لن يكون هناك سبب يجعلها تشك في أن هناك خطباً ما بيني وبينك.»

«يبدو أنك فكرت بكل شيء، ولكن امك لن تكون قادرة على رؤيتي.» قالت باريسا ذلك وهي تشرب رشفة من العصير.

«إن أمل أمي في الحياة ليس كبيراً، فهي لن تعيش أكثر من سنة، أو سنتين حتى ولو أجرت العملية.»

«أنا آسفة، لم أكن أعتقد ان وضعها بهذا السوء.»

«ولماذا تأسفين؟ فهي ليست سوى إنسانة غريبة عنك. ولكن إذا وافقت تجعلينها سعيدة ما تبقى من حياتها.» كانت باريسا متأكدة أنه يقول الحقيقة، فقد كان الصدق واضحاً في بريق عينيه وهو يقول: «قولي نعم...»

«لماذا أنا؟» فهو يعرف الكثير من النساء وكل واحدة منهن تتمنى ان يطلب الزواج منها، ودون أن تكلفه المبلغ الذي بدا واضحاً أنه يريد دفعه لها. ومرة ثانية لاحظت أنه عاد لقراءة أفكارها.

«لقد نسيت أن والدتي تعتقد أننا مخطوبان، شخصياً أنا لست راغباً في الزواج، مثلك تماماً ويسعدني أنك تتصورين أنني أستطيع الزواج من أي امرأة ساعة أشاء. ولكن فكّري في الأمر يا باريسا، فإذا ما أحضرت امرأة غريبة تماماً يوم غد وقدمتها إلى أمي على أنها زوجتي العتيده من الصعب عليها أن تقتنع مرة ثانية بجديتي في الزواج.»

قررت باريسا أن تفكر في الأمر بعقلانية فرفعت كأسها وأخذت منه رشفة. ان ما يقوله منطقي جداً، ولكن يجب أن لا تنسى أن لوك دي ماغي هو من يقول هذا الكلام... لا، إن الأمر مستحيل، أليس كذلك؟

«لا تعرّضي نفسك للخسارة يا باريسا. الجميع هنا ينادونك بلقبك. ماذا ستقولين لهم؟ أستخبرينهم بأنك لم تعودي ليدي؟ إن هذا اللقب محفوظ للمرأة التي سأتزوجها.»

«لا داعي لمناقشة هذا الأمر. فلو كنت أهتم لأمر اللقب لما بعته.» قالت ذلك بحدة وتضايقت عندما سمعت أن لوك يمكن أن يتزوج من امرأة أخرى.

رفعت باريسا رأسها فتدلى شعرها الطويل على كتفيها، فقد تركته منسدلاً هذه الليلة. ليس لأن لوك يفضله كذلك... بل لأنها كانت في عجلة من أمرها. أسندت باريسا مرفقها على الطاولة ولفّت خصلة من شعرها الذهبي على اصبعها قبل أن تبدأ بتأمل لوك، ولكنها لم تستطع أن تقرأ أي شيء من تعابير وجهه، لقد كان متعباً وكان يبدو الصدق واضحاً في عينيه.

ولكن هل تستطيع أن تثق به؟ وهل ان هذين الاسبوعين يؤثران عليها؟

«حسناً، أنا موافقة. لقد أبرم الاتفاق.» ثم مدّت يدها الرشيقة لمصافحته.

مدّ يده الكبيرة وأمسك بيدها قائلاً: «اتفقنا يا باريسا.» ثم دهشت عندما رفع يدها وقبّلها وقال: «شكراً لك.»

لم تستطع باريسا أن تجيبه بأي كلمة، وكل ما استطاعت عمله هو أن تسحب يدها من يده وتضعها في حجرها ثم تتساءل إذا ما كانت قد اقترفت أفظع غلطة في حياتها.

لم يمنح لوك باريسا أي وقت لتغير رأيها، فواصل كلامه بلا توقف وهما يتناولان الحلوى والقهوة. لم تكن واثقة مما جرى لها. فبعد أن وقفا أخيراً للمغادرة بدأت تتساءل إذا ما كانت قد فكرت جيداً قبل الموافقة على الزواج منه. فمشت إلى خارج المطعم وهي مشوشة التفكير، ولم تعد إلى وعيها إلا بعد أن سمعت لوك وهو يصرخ.

«آخ.» نظرت باريسا حولها فوجدته يترنح ثم يستقيم في وقفته، فلم تستطع أن تتمالك نفسها وانفجرت بالضحك. لقد كان مغمض العينين ويضع يده على رأسه.

«انه مطعم قديم جداً، وخشب السنديان البارز، والسقف المنخفض جزء من سحره. كان عليك أن تكون أكثر انتباهاً، فهناك لافتة فوق باب القاعة مكتوب عليها بأحرف كبيرة: انتبه لرأسك.»

فنظر لوك إلى المكان الذي أشارت إليه باريسا وضحك: «ها، ها.» ثم بدأ بالتأوه.

«هل أنت بخير؟» سألته باريسا ثم وضعت يدها على ذراعه وتابعت: «هل أذيت نفسك؟» في هذه اللحظات خرج السائق من حانوت ملاصق للمطعم.

قال وهو يستقيم في وقفته: «كلا، أنا بخير.» ثم أمسك ذراعها وتوجها نحو السيارة.

جلست باريسا على المقعد الخلفي لسيارة الليموزين والتصقت بالنافذة محاولة إبقاء أكبر مسافة بينها وبين لوك.

«لا يوجد أي داعٍ للخوف يا باريسا...» ثم نظر إليها بطرف عينه ورفع أحد حاجبيه بسخرية وتابع: «ليست لدي نيّة في الاقتراب منك، سوف يكون زواجنا صفقة تجارية صرفة.»

قالت باريسا بتصميم: «لو لم يكن الأمر كذلك لما وافقت.» ولكن شيئاً ما في داخلها كان يشكك في صدق كلامها.

الفصل الثامن

توقفت السيارة قرب الباب السنديانى المزدوج لمنزل باريسا التي نظرت بطرف عينيها إلى لوك فوجدته مسنداً رأسه إلى المقعد ومغمضاً عينيه، وضوء السيارة الخافت يرسل ظلالاً رمادية على تقاسيم وجهه. تساءلت لبرهة إذا ما كانت كدمة الرأس التي تعرض لها قد آذته أكثر مما اعترف به. في هذه اللحظات حرّك رموشه وفتح عينيه، فبدا أنهما لا تستطيعان التركيز ولكنه استطاع أن يعتدل في جلسته على المقعد.

استدار برأسه نحوها وكان على وشك الخروج من السيارة ليفتح لها الباب ثم قال: «اعذريني، فلن أستطيع أن أخرج من السيارة، ولكن السائق سوف يفتح لك الباب ويعود إليك عند الساعة العاشرة صباحاً. سوف ألتقيك في المستشفى، ثم نبلغ أمي معاً الأخبار الطيبة.»

«حسناً، حسناً، هذا جيد.»

«باريسا.» ناداها وهو يمسك بيدها قبل أن ترفع ساقيها للخروج من السيارة وتابع: «لا تغيّري رأيك. سوف أكون في انتظارك غداً صباحاً. إن اتفاقنا لا زال ساري المفعول. أليس كذلك؟»

«نعم، نعم.»

يبدو أن هناك شيئاً غريباً حصل له إذ انه كان يتلفظ بكلماته بصعوبة. ترجلت باريسا من السيارة ونظرت إليه.

قال آمراً بلطف: «ادخلي المنزل.»

مشت وصعدت الدرج ودخلت البيت ثم أغلقت الباب الثقيل وراءها، وتابعت سيرها بإرهاق عبر الرواق فرأت صور أجدادها تبتسم لها، وشعرت لوهلة بأنها تضحك عليها فهزت رأسها لتبديد هذه الخاطرة المخيفة وأسرعت في تسلق الدرج.

توقفت عند الحمام القديم الملاصق لغرفة نومها. فدخلته وأخذت حماماً سريعاً ثم دخلت غرفة نومها واعتلت السرير، لأنها لم تكن تريد اي شيء سوى النوم.

ولكن الأمر لم يكن سهلاً، فهل هي حقاً وافقت على الزواج من لوك يوم الخميس؟ إنها تعلم أن الأمر منطقي من الناحية المادية، ولكن ماذا عن الناحية العاطفية؟ فهل تستطيع العيش معه لمدة اسبوعين دون إثارة الألم الذي عانت منه بسببه؟ وهل تملك قوة الإرادة، أو حتى القدرة على تمثيل الدور الذي طلب منها أن تلعبه؟ مليون سؤال كان يجول في خاطرها، ولكنها كانت عاجزة عن الإجابة عنها.

فكرت باريسا وهي تتململ في سريرها بأن الأمر ليس سوى مزحة، قد يتصل بها لوك يوم غدٍ ويخبرها بأن الأمر قد انتهى، ولكنها لم تتمن كثيراً أن يحصل هذا الأمر. كان قد طلب منها أن تستعمل عقلها وتفكر بالأمر من الناحية العملية فترى حسنات عرضه واضحة. صحيح انها تشعر بالأسف على حال والدته وتشعر بنوع من المسؤولية لأنها ساهمت في إقناع السيدة العجوز بأنها خطيبة ابنها، وصحيح ان ديدي سوف تفرح بزواجها من لوك، ولكن ماذا سيقول الناس؟ سيقولون ان باريسا هاردكورت بلمونت تزوجت من

أجل المال... وهنا ارتسمت ابتسامة ساخرة على وجهها. إن في تاريخ عائلة باريسا زيجات كثيرة مدبرة، وبلا شك أن معظمها كان من أجل المال، ولكن لماذا تحبط معنوياتها كلما فكرت بالأمر؟

ان الحب للأغبياء فقط، هذا ما لقنها إياه لوك دي ماغي بذاك الدرس القاسي. لقد تذكرت الآن أول مرة فتح فيه لوك موضوع سفرها معه إلى إيطاليا وقال وقتذاك أنه لا ينوي الزواج إطلاقاً، ولكنه لم يمانع بأن يخطب ليجعل والدته سعيدة، وربما أن هذا هو ضمان باريسا الوحيد. إنه رجل أعمال ديناميكي، فمن بداية متواضعة في المخابز، استطاع أن يبني امبراطورية شاسعة. لقد نال كل ما كان يبتغي دون أن يفكر بالناس الآخرين. فكم من الناس قد استغل وازاحهم من طريقه بمن فيهم هي؟ قالت باريسا في نفسها متسائلة.

ربما انها تحتقر هذا الرجل، فالخمسة أيام التي انتظرتها في لندن من أجل اتصاله هي من أصعب المراحل التي مرت في حياتها. لقد كانت تحاول أن تخدع نفسها باقناعها بأنه يحبها، لسبب بسيط وهو أنها تحبه، ولكنها قرأت في اليوم الأخير ذلك المقال الصحفي، فأدركت أنه قد كذب عليها، وعندها أدركت أيضاً أن الرجل المجرم الذي كانت تنوي الزواج منه أصبح غريباً عنها. لقد سمحت باريسا لرجل يتلاعب بها ويحاول الانتقام منها على تلك الإهانة التي حدثت منذ سنوات. وعندما أدركت مدى سذاجتها أقسمت على أن لا تسمح لأي رجل بأن يستغبيها ثانية.

هل يمكنها أن تكون قاسية ومستهزئة مثل لوك؟ نعم...

www.elromancia.com

فسوف تأخذ ماله، قالت في نفسها بتصميم مرير. ولِمَ لا؟ فمن يستحق هذا الأمر أكثر منها؟ لقد اشترى لقبها وهذا ما جعلها تفكر في الأمر جدياً. صحيح انها كانت تتذمر من هذا البيت القديم، ولكنها في الحقيقة كانت تحبه، ولم تكن تستطيع أن تتصور نفسها تعيش في أي مكان آخر غيره. إن ذكريات طفولتها في الركض في هكتارات السرايا الخمسة الخضراء ولعب الغميضة في غرف المنزل المتعددة، والانزلاق على الدرابزين، كلها ذكريات لم تكن تستطيع نسيانها. لكن من الآن فصاعداً ولبقية حياتها عليها أن تتقبل الحقيقة التي لا تستطيع نكرانها، وهي أن لوك قد اشترى اللقب وبذلك أصبح لورداً.

انها تستحق المال الذي سوف يعطيها إياه. ومن الناحية القانونية، في حال أصبحت زوجة لوك، ولو بالاسم ولمدة قصيرة، سوف يبقى وضعها الاجتماعي هو ذاته، وسوف تبقى ليدي، وبذلك لن يكون من الضروري أن تخبر أقاربها وأصدقاءها بأنها باعت اللقب. ربما هي جبانة نوعاً ما، ولكنها لا تستهوي فكرة أن يعرف كل الناس مشاكلها المادية. ان الأمر الذي يريحها هو أن هذه الصفقة تؤمن لديدي وجو راتباً تقاعدياً مقبولاً لبقية حياتهما.

بقيت باريسا ساهرة طويلاً حتى استطاعت النوم أخيراً، حلمت برجل طويل برونزي السحنة ذي عينين سوداوين ونظرة ماكرة مستهزئة.

استيقظت باريسا في الصباح التالي وهي مقتنعة تماماً بأن كل ما حدث بالأمس كان مجرد حلم، لا بل كابوس. لقد عاد لوك وظهر ثانية في حياتها معلناً للملأ أنها خطيبته. ما

من شك لدى باريسا بمدى اهتمامه بها... ولكن لماذا كانت غبية لدرجة أن تقبل بمخططه المجنون بالزواج منها حتى ولو لاسبوعين فقط؟ كيف ستخدع ديدي؟ وكيف ستضع خاتمه في اصبعها؟ لكنها لم تكن تملك أية إجابة عن هذه الأسئلة.

لم تكن باريسا تحبه... وكانت رحلتها معه إلى إيطاليا مجرد غباء مع أنه لم يكن لها أي خيار في تلك الوقت. ولكن هذين الأسبوعين اللذين ستكون زوجته فيهما في لندن، سيكونان علاقة أفلاطونية صرفة في مقابل ثروة... من المؤكد ان قبولها أمر منطقي.

تأوهت من الصداع الذي شعرت به، ولم يساعد فنجان القهوة الذي أحضرته لها ديدي في التخفيف من الألم.

«من الأفضل أن تنهضي يا آنسة باريسا، إذ يوجد رجل في انتظارك في الطابق السفلي، ويريدك أن تريه البيت!»

قالت متمتمة: «ماذا؟ من؟» ثم أبعدت الملاءة عنها ونهضت من السرير وشربت فنجان قهوتها دفعة واحدة.

«إنه السيد سمايث، وهو منهدس معماري، وقد أرسله السيد لوك ليكشف على البيت ويقرر ما يستطيع عمله، أليس الأمر رائعاً؟»

«أجل، عظيم!» تأوهت باريسا بعد أن لاحظت فداحة الأمر الذي وافقت عليه. ان لوك لا يضيع أي وقت. ومن الواضح أنه باشر في تنفيذ ما اتفق عليه قبل أن تغير رأيها، وبالكاد كان لديها وقت لتغتسل وترتدي ثوبها الجلدي قبل وصول سيارة الليموزين لنقلها إلى المستشفى.

ترجلت باريسا من السيارة قرب المدخل الرئيسي

www.elromancia.com

للمستشفى وقبل أن تضع حقيبة يدها في كتفها كان لوك قد شبك ذراعه بذراعها.

«هذا جيد، لقد وصلت أخيراً. إن أمي ستكون سعيدة.» ثم استدرك وقال لها: «صباح الخير.» ورافقها إلى الداخل.

«صباح الخير.» قالتها متهكمة وهي تنظر بطرف عينها إلى وجهه الوسيم الذي لا زال يبدو شاحباً بسبب قلقه على والدته، أو ربما بسبب فكرة الزواج ولو لوقت قصير، فهو ليس من النوع الذي يفضل الزواج كما ذكر أكثر من مرة.

دخلا المصعد برفقة فتاتين ترتديان معطفين ابيضين، ولم تستطيعا إبعاد نظرهما عن لوك. ابتسمت باريسا بصمت، فهي تعرف ان لوك من النوع الذي يجتذب النساء كما يجتذب العسل النحل.

رافقها لوك إلى الغرفة الخاصة في الطابق الثاني وكل تفكيرها منصب على شكل السيدة المستلقية في سريرها. ولكنها فوجئت عندما رأت السيدة دي ماغي لم تعد قوية البنية كما رأتها منذ شهرين. كيف يمكن لانسان أن يتغير بهذا القدر في مثل هذه المدة القصيرة؟ تساءلت باريسا في نفسها وهي تضغط على أحاسيسها للابتسام بعد ان اقتربت من سرير المريضة.

«مرحباً سيدة دي ماغي، كيف حالك؟» ثم انحنت وقبّلت خدها ذا الجلد الجاف.

ابتسمت السيدة العجوز وأدمعت عيناها السوداوان الشبيهتان بعيني لوك.

«باريسا، يسعدني انك هنا وانك سوف تتزوجين لوك، أنا سعيدة جداً...»

وقف لوك إلى الجانب الآخر للسرير وتفكيره منصب على أمه، فارتسمت ابتسامة دافئة مليئة بالحب على وجهه.

«يجب أن لا تتكلمي كثيراً يا أمي ولا تنفعلي، إنها أوامر الأطباء.» ثم انحنى مقبّلاً جبينها وممسكاً بيدها الضعيفة بيده الضخمة، ثم جلس بجانب والدته على السرير، وتبادل معها النظرات لبضع لحظات.

شعرت باريسا وكأنها دخيلة، فجلست بهدوء على مقعد قريب من السرير، وأخذت تحدّق بيديها الموضوعتين على حجرها، لقد شعرت بتأنيب الضمير عندما رأت الخاتم البرّاق الضخم في اصبعها. في السابق، عندما كانت تعتقد أنه من المجوهرات المزيفة لم تكن تعيره أي اهتمام، أما الآن وبعد أن عرفت قيمته فقد أصبحت تحرص عليه. لم يكن لديها أي شك في أن ما قاله لوك عنه صحيح، فهو من الماس النادر والنفيس، لا بدّ أنها كانت عمياء لأنها لم تلاحظ قيمته الحقيقية. كان عليها أن تدرك ليلة الحفلة أن لوك يمكن أن يخدع عائلته بخطيبة مزيفة ولكنه لا يمكن أن يخدعهم بخاتم مزيف. ولكن ماذا عن الزواج المزيف؟ إن ما تقوم به هي ولوك غير صائب.

عضّت باريسا على شفتها السفلى وفكرت بأن السيدة العجوز تستحق أن تعرف الحقيقة.

بعد نصف ساعة تقريباً، وعندما همّا بالرحيل، لم تكن باريسا تحتاج إلى طبيب ليقول لها ان الزيارة قد أبلت حسناً على السيدة دي ماغي، فقد كانت تبتسم وعلامة الرضى واضحة على وجهها.

استدار لوك حول السرير ولفّ ذراعه حول كتف باريسا

التي أجفلت، ولكنها لم تبعده مراعاة لمشاعر السيدة العجوز. بعد خروجهما من غرفة والدته، أمسك يديها وكأنه يشكرها. وخرجت من المستشفى برفقة لوك الممسك بيدها.

توقف لوك قرب السيارة وفتح لها الباب الخلفي ثم أعتق يدها أخيراً.

«أنا آسف لعدم مرافقتي لك، ولكن السائق سوف يوصلك إلى البيت، سوف أرسل لك السيارة يوم الخميس صباحاً، ولكني سوف أتصل بك قبل ذلك وأعطيك التفاصيل.»

«لوك، أنا لست متأكدة من...» لقد تضاعف الخوف الذي أحست به باريسا بخصوص الصفقة، بعد أن شعرت بأنها ربما تكون قد تسرعت في الموافقة، ولكن لوك لم يفسح لها في المجال لتغيير رأيها وساعدها على دخول السيارة قبل أن تنهي كلامها.

«لقد فات الأوان الآن لتغيير رأيك يا باريسا.»

يوم الخميس، شعرت باريسا بأنها مراهقة ساذجة بالمقارنة مع لوك الناضج. إن ما تقوم به مجرد غباء ولكنه في الوقت نفسه صفقة تجارية رابحة. لم تكن باريسا تشعر بأية رهبة مما تُقدم عليه، فعلى كل حال سوف يكون زواجها صورياً، وتنتهي مراسمه بسرعة، ولكن ما سبب الرجفة التي في ساقيها؟

وقفت باريسا أمام الموظف في مكتب تسجيل الزواج، فلم تركز على ما كان يقول، ولكن بعد ان لكزتها ديدي بكوعها، عادت إلى وعيها لتقول: «قبلت.» ثم نظرت بغير اكتراث إلى الخاتم الذهبي الذي وضعه لوك في اصبعها.

قال بصوت خافت: «أصبحت الآن زوجتي.»

وهكذا، انتهت مراسم الزواج وتوجه الجميع إلى فندق الريتز حيث تناولوا الطعام، ثم دخلت باريسا وديدي إلى غرفة التجميل في الفندق.

«انك تبدين جميلة يا باريسا، سوف تكونين امرأة سعيدة، ثقي بمربيتك، لقد تحدثت مطولاً مع لوك في ذاك اليوم قبل وصولك إلى البيت وعرفت أنه يحبك كثيراً.» ثم لمعت عينا العجوز وهي تنظر إلى باريسا الخجلى وتابعت: «الآن، لم يعد هناك ما يقلق، فهناك الكثير من النساء اللواتي يتسرعن في علاقاتهن، إني أتفهم الأمر، فقد لاحظت في الشهرين الماضيين أن تفكيرك مشغول برجل ما، ولكن بعدما رأيت لوك عرفت كل شيء، والآن سيكون كل شيء على ما يرام.»

لا عجب إذاً أن ديدي كانت متحمسة لزواجها، اتصل بالسرايا بالأمس وتحدث بإيجاز مع باريسا، ولكنه أطال في الحديث مع ديدي التي ما انفكت عن حثّ باريسا على التوجه إلى برايتون لشراء ما يلزمها، فأذعنت للأمر.

تنهدت باريسا بمرارة، إذ كيف يمكنها أن تخدع السيدة العجوز؟ لقد كانت ديدي وزوجها جو الشاهدين على زواجها وكانا الضيفين الوحيدين، في الحقيقة انهما كانا من الدوافع الأساسية التي حثّت باريسا على قبول عرض لوك. لقد اعتنى بها هذان الزوجان طيلة حياتها، وصار يحق لهما أن يحصلا على ما يساعدهما على العيش في شيخوختهما. في السابق كان يقلقها هذا الأمر كلما فكرت به، أما الآن فقد حُلّت المشكلة. وحتى لو حصل لباريسا

www.elromancia.com

ضرر ما خلال الاسبوعين القادمين فإن راحة بالها بضمان شيخوخة الشخصين الوحيدين اللذين تهتم لأمرهما في هذا العالم تكفيها. وهكذا، خرجت من غرفة التجميل وذراعها مشبوكة بذراع ديدي.

ركز لوك بصره على وجه باريسا الجميل وهو يقترب منها. ثم وقف بقربها ولفّ ذراعه بتملك حول كتفها.

«لقد سارت الأمور على ما يرام، أليس كذلك يا حلوتي؟»

رفعت باريسا رأسها ونظرت إليه، فرأت بريق الانتصار واضحاً في عينيه.

«أجل.» أجابت باريسا باقتضاب ثم تبعت الثنائي العجوز إلى خارج الفندق في اتجاه سيارة الأجرة وسيارة الليموزين المنتظرتين في الباحة، وهي تعض شفتها بغضب وتتساءل عن معنى نظرته الساخرة.

تنفست باريسا الصعداء وهي تودع ديدي وجو اللذين استقلا سيارة الأجرة متوجهين إلى سرايا هاردكورت. أما هي فقد توجهت إلى سيارة الليموزين حيث أمسك لوك بيدها وساعدها على ركوب السيارة، ثم جلس بقربها.

قال لوك: «لقد أصبحنا بمفردنا أخيراً.» ثم أمسك بيدها فرأى الخاتم الذهبي في اصبعها وتابع كلامه: «لم أكن أتصور أنني في يوم من الأيام سوف أضع خاتماً ذهبياً في اصبع أية امرأة.» ثم ابتسم ابتسامة ساخرة وأضاف: «الماس، ربما، أما هذا...» ثم رفع يدها وقبلها.

سحبت باريسا يدها من يده وأبعدت عينيها عن عينيه، ثم فتحت حقيبتها الصغيرة وأخذت منها خاتم الخطوبة الذي كانت تعتبره مزيفاً ووضعته في اصبعها. وبطريقة ما

ذكّرها الخاتم الماسي الضخم بالسبب الحقيقي لهذه الزيجة وهو السبب الذي ستحاول أن لا تنساه.

«هل أخبرتك كم تبدين جميلة؟ إنك عروس رائعة، وأنا رجل محظوظ لأنني فزت بزوجة ممتازة مثلك.» إلا ان الغضب المستتر في نبرة صوته لم يخفَ على باريسا، التي كانت تعلم جيداً أنه لم يكن يرغب أبداً في الزواج.

«إنني شريكة عمل فقط.» قالت باريسا مُصححة كلامه، ثم حاولت توسيع المسافة التي تفصل بينهما وتابعت: «أليس من المفترض أن نكون في المستشفى الآن؟» ثم وضعت باقة الورد أمامها وكأنها درع وأضافت: «اعتقد ان والدتك سوف تحب هذه الورود.» كانت باريسا مصممة على المسافة بينهما، وكانت مصممة أكثر على ابقاء العلاقة بينهما خلال الاسبوعين القادمين باردة وهادئة.

لم تستغرق الرحلة وقتاً طويلاً عبر لندن إلى المستشفى، وعندما وصلا إلى غرفة السيدة دي ماغي الخاصة، فوجئت باريسا بمنظر والدته التي بدت هزيلة أكثر مما كانت تبدو عليه منذ يومين، فقدمت باقة الورود إلى العجوز، وفكرت بأن زواجها من لوك يستحق العناء لأنه جعل السعادة تظهر جلية في عيني السيدة العجوز المتعبتين.

«كم أنا سعيدة بكما. الآن صرت أعرف أن هناك انساناً يحبك ويعتني بك يا ولدي، وصار في امكاني أن أموت مرتاحة.» قالت العجوز ذلك وعيناها تغصّان بالدموع.

«لا تقولي هذا يا أمي، سوف تكونين بخير، وسوف نقيم لك حفلة كبيرة في ايطاليا.» قال لوك مواسياً ثم قضى الدقائق التالية وهو يمازحها.

www.elromancia.com

ولكن بعد ان دخلت الممرضة وطلبت منهما المغادرة بسبب تحضير السيدة دي ماغي للعملية الجراحية، اختفت الابتسامة فجأة عن وجه لوك.

كانت غرفة الانتظار مكاناً تعيساً جداً بالنسبة إلى لوك الذي أشفقت عليه باريسا فجلست قبالته.

نظر لوك إليها بعينين باردتين ثم مد يده إلى جيب قميصه وأخرج منه ظرفاً طويلاً ورماه على الطاولة التي تفصل بينهما.

«من الأفضل أن تقرأي هذا ثم توقعيه، اعتقد انك ستجدين كل شيء منظماً.»

قالت باريسا وهي تنظر إليه باستغراب: «الآن؟» فأمه لا تزال موجودة في غرفة العمليات، وهو يحدثها في شأن الصفقة، مما أدى إلى تلاشي شفقة باريسا عليه.

«إننا شركاء عمل فقط هذا ما سبق وقلته يا باريسا، وها هو اتفاقنا أمامك، اقرأيه ومن ثم وقعيه.»

التقطت باريسا الأوراق وشرعت بقراءتها، ثم لهثت عندما رأت المخصص المالي المذكور. لقد بدا كرمه واضحاً. ولكن لِمَ لم يجعلها هذا الأمر سعيدة؟ إن كل ما أحست به هو احتقارها لنفسها... لقد نزلت إلى مستواه حيث أن لكل شيء ثمناً، ودون أن تفكر بما تقوم به قالت: «هل يمكن أن تعطيني قلمك؟»

مدّ يده وناولها قلماً ذهبياً أنيقاً، ودون أن تنطق ببنت شفة وقعت العقد واعادته إليه، إن محاولتها في أن تكون قاسية ومستهزئة لم تكن سهلة كما تصورت...

قضيا كل فترة بعد الظهر حتى المساء دون أن يتبادلا أية

كلمة، ولم يكن يغير جو الجلسة سوى فنجاني القهوة اللذين كانت تحضرهما الممرضة من وقت إلى آخر، وبقيا على هذه الحال حتى الساعة الثامنة حيث حضر الطبيب وأبلغهما بأن العملية كانت ناجحة.

أخذ لوك بيد باريسا وتبعا الممرضة التي كانت ترشدهما إلى غرفة العناية الفائقة، حيث وجدا والدته مستغرقة في النوم، وخراطيم كثيرة متدلية منها، إلا ان لونها كان يبدو أفضل نوعاً ما.

قالت باريسا: «سوف تكون بخير يا لوك.»

«أجل، اعتقد أنها ستكون كذلك الآن...» ثم تنهد وتابع: «شكراً لك يا باريسا.»

وهكذا، عادا أدراجهما فاستقلا السيارة من مدخل المستشفى إلى مدخل الفندق. بينما كان لوك يرافق باريسا إلى الداخل لفت انتباهها بهو المدخل المريح والأنيق الذي كانت تفترش أرضه سجادة سميكة.

وقفت باريسا جانباً بينما كان لوك يأخذ المفتاح من موظف الاستعلامات ويتحدث معه باقتضاب ثم استدار نحوها.

«لقد نقل السائق أغراضك إلى الفندق. هل ترغبين في تناول العشاء هنا أم في جناحنا؟»

قالت باريسا دون تفكير: «أنا لا أشعر بالجوع.» وكم تمنت لو لم تجبه بالنفي، لأن لوك أخذ بذراعها وتوجه بها نحو المصعد.

صعدا الطوابق العليا بصمت ثم فتح باب المصعد ورافقها لوك عبر رواقٍ واسع حتى وصل إلى أحد الأبواب

www.elromancia.com

ففتحه ووضع يده على ظهرها حاثاً إياها على الدخول.

فُتح الباب مباشرة على غرفة جلوس كبيرة تفترشها سجادة سميكة وتشتعل فيها مدفأة أنيقة، وتتألف مفروشاتها من أريكتين مريحتين تتوسطهما طاولة منخفضة، بالإضافة إلى جهاز تلفزيون ولمبتين نقالتين وطاولة مكتب صغيرة وُضع عليها جهاز هاتف.

«ان غرف النوم من هنا.» أشار إلى الرواق وتابع: «في امكانك أن تتفحصي المكان لاحقاً. أما الآن فأنا أحتاج إلى حمام وكوب عصير بارد. حضّري لي واحداً من فضلك واطلبي طبقاً أو سندويشات، أي شيء تختارينه.» ودون أن ينتظر ردّها اختفى عبر الرواق.

تنفست باريسا الصعداء وهي تستنكر قوله: «غرف النوم.» بصيغة الجمع. الآن لم يعد أمامها ما تخشاه وهذا الأمر سوف يسهل بقاءها مع لوك خلال الاسبوعين القادمين. توجهت باريسا إلى المطبخ التابع للجناح فأخذت كوبين وملأتهما بأحد أنواع العصير مع الثلج.

أخذت باريسا الكوب الأقل امتلاءاً ثم عادت إلى وسط الغرفة وجلست على الأريكة المريحة، وبدأت بتناول شرابها. بعد ذلك وضعت كوبها جانباً ثم التقطت سماعة الهاتف وطلبت بعض السندويشات وقهوة.

عادت وتناولت كوبها، فأخذت منه رشفة وتأملت الغرفة الأنيقة. من السهل على الانسان أن يعتاد على هذا النمط من الحياة، قالت في نفسها، وبعد أن تتخطى فترة الاسبوعين القادمين سوف يكون في امكانها أن تعيش مثل هذه الحياة، لكن التفكير في ذلك لم يجعلها سعيدة بالقدر الذي كانت تتوقعه.

لم تكن توّاقة للثروة على الاطلاق، فقد كانت تستمتع بعملها، وكانت سعيدة في حياتها طالما أنها تستطيع تسيير أمورها. ولكن ماذا حدث لطبيعتها المرنة؟ وكيف وافقت على عرض لوك؟ لم يسعها إلاّ الاعتراف بأن الجشع هو الذي أوصلها إلى هنا، وهو شعور لا تُحسد عليه. لكن هذا الاعتراف أتى بعد فوات الأوان، فقد وافقت.

تململت باريسا على أريكتها، ولكن ما لبثت أفكارها أن قوطعت بصوت لوك الجهوري.

«هذا كوبي على ما أعتقد؟» قال وهو يقف في مواجهتها، فأحنى جسده الضخم لالتقاط الكوب.

تأملته وهي مندهشة، وكانت على وشك أن تتكلم، لكن من حسن الحظ أن قرع الباب، وأعلن وصول الخادم بالعشاء.

لم تلمس باريسا الطعام، مع أنها لم تكن قد أكلت أي شيء طيلة النهار. لكنها نهضت عن أريكتها واستغربت عندما رأت لوك ينهض أيضاً عن الأريكة المقابلة لها.

قالت باريسا بتصميم متفادية النظر إلى عينيه: «أنا متعبة، لقد كان نهاراً طويلاً. أعتقد أنني سأخلد إلى النوم.» عبرت باريسا الغرفة حافية القدمين، وبسبب ضعفها وسرعة تأثرها، عبرت الرواق دون أن تنظر إليه، ثم دخلت الباب الأول. اتسعت عيناها من الدهشة فالغرفة لم تكن غرفة نوم، بل غرفة مكتب على الأرجح. لقد كانت مجهزة بكمبيوتر وفاكس وهاتف موضوعين على طاولة ضخمة. فتراجعت إلى الوراء ثم توجهت إلى الباب الثاني ففتحته. كانت غرفة نوم كبيرة يتوسطها سرير ملوكي مزدوج تحيط به أربعة أعمدة وتتدلى على جانبيه ستائر مخملية زرقاء

www.elromancia.com

وذهبية. كانت حقيبتها موضوعة قرب طاولة التجميل المنمّقة فتنفست الصعداء، إذ لا بدّ أن هذه هي غرفتها.

دخلت حمام الغرفة، فأخذت حماماً سريعاً وجففت جسدها، ثم لبست ثياب النوم، بعد ذلك خرجت من الحمام إلى غرفة النوم ثم توقفت مصعوقة.

توقفت مسمرة في مكانها فاغرة فاها من أثر الصدمة. فقد رأت لوك واقفاً قرب السرير وعيناه تتفحصانها.

«انك رائعة جداً، يا اجمل العرائس.»

قالت باريسا صارخة وهي تبلع ريقها بصعوبة من الصدمة: «ماذا تظن نفسك فاعلاً؟ إن هذه غرفتي.» التقت عينا باريسا بعينيه وأجفلت عندما أحست بنواياه الواضحة تجاهها.

قال لوك وهو يقترب منها: «إنها غرفتنا يا باريسا.»

«إنسَ الأمر يا لوك.» قالت باريسا محذرة إياه ومتراجعة إلى الخلف، ثم تابعت: «لقد قلت غرف النوم بصيغة الجمع... وقلت انك لن تلزمني بأي شيء... إن ما تقوم به هو صفقة لمدة اسبوعين... من أجل أمك... لقد كذبت...»

«كلا، لم أكذب، فهناك غرفتا نوم أستعمل واحدة منهما كغرفة مكتب، فأنا أستأجر هذا الجناح على هذا الأساس. أما بالنسبة للباقي فأنتِ وافقت على أن تكوني زوجتي ولمدة محددة، وهذا يشمل كل ما يعنيه الزواج.» قال لوك ذلك وهو يقترب منها.

مدّت باريسا ذراعيها محاولة ابعاده عنها.

«كلا، كلا.» قالت صارخة وشعرها ينسدل على كتفيها.

«لا تكوني حمقاء يا باريسا. هل كنتِ تتوقعين مني أن

أدفع ثروة في مقابل لا شيء؟ واعلمي أنتِ أغلى امرأة ملكتها.»

يملكني؟ أبداً، قالت في نفسها. ولكن بينما كان عقلها يصرخ لا، كانت هي في الوقت نفسه تنهار تحت تأثير الصدمة.

www.elromancia.com

الفصل التاسع

استيقظت باريسا متكاسلة صبيحة اليوم التالي، وللوهلة الأولى لم تعرف أين هي موجودة. كان كل ما تحس به هو ذلك الشعور الرائع بالدفء والأمان. ثم عادت فجأة إلى الواقع...

وبقيت مستلقية على السرير وهي تحدق في السقف، في الوقت الذي كان فيه نور الصباح يدخل من النافذة، فأخذت تراقب ذرات الغبار المتراقصة في شعاع الشمس الربيعي. كانت قد عقدت اتفاقاً، وعليها أن تلتزم به رغم كل ما حصل وما سيحصل لها.

بدأت الأفكار تتشابك في عقل باريسا حول حقيقة شعورها نحوه. إذ كيف سيكون في إمكانها أن تقضي معه الاسبوعين القادمين؟ ولكن الشيء الأكثر هولاً هو كيف سيكون في إمكانها ان تقضي بقية عمرها من دونه؟

حاولت اقناع نفسها مراراً وتكراراً بأنها لا تحبه، وبأن ما تشعر به هو مجرد ميل عاطفي. ولكن الآن لم تستطع سوى أن تعترف بأنها تحبه. لقد كانت تكذب على نفسها، وهو أسوأ انواع الكذب...

لم تكن باريسا تشعر سوى بالاكتئاب وبالقلق عندما لم يتصل بها لوك خلال وجودها في لندن، فصممت على استبعاده من تفكيرها. أما الآن، فقد أصبحت مضطرة لإعادة تحكيم عقلها وقلبها، فهي ما زالت تحبه. ان لوك

مستغل، انتهازي عديم الشفقة، ولا يهمه سوى مصالحه الخاصة، فكيف في إمكانها ان تحبه؟ ولكن في صميم قلبها، كان هناك شيء يهمس لها بأنها لن تتخلى عن حبه أبداً.

أخذت باريسا تتأمل الشخص الذي تسبب بكل هذه الفوضى في تفكيرها، فلفت نظرها ندبة حمراء على شكل هلال على رقبة لوك، وهي على ما يبدو حديثة، فمررت اصبعها عليها، فتح لوك عينيه ونظر إليها.

«ما الأمر يا باريسا؟ هل تزعجك ندبتي؟»

«بالطبع لا، إذ لم يسبق لي أن رأيتها. كيف حدثت؟»

«هل حقاً تريدين ان تعرفي السبب؟»

«أجل.»

«في اليوم التالي لحصول الحريق في المصنع، ذهبت في جولة في أرجاء المبنى المحترق مع مندوب شركة التأمين. ومن سوء الحظ ان أحد أعمدة البناء لم يكن آمناً، فهوت عليّ ركيزة من السقف واصابتني في مؤخرة رأسي.»

«آه، كلا!» تنهدت باريسا وهي تعتدل في جلستها، ثم نظرت إليه. لقد أصيب، وهي لم تعرف بالأمر.

«نعم، لقد قضيت اسبوعاً كاملاً في حالة غيبوبة، وعدة أسابيع أخرى تحت العلاج.»

«ولكن كان في إمكانك أن تتصل بي.» قالت باريسا وهي مقتنعة بأنه لم يكن يستغلها كما كانت تعتقد، فابتسمت، لكن لوك لم يبادلها الابتسامة.

«أجل، كان في إمكاني أن اتصل بك ولكن الظروف التي

كنا نعيشها لم تشجعني على الاتصال، فقد كان واضحاً أنك لم تكوني مهتمة لأمري، لذلك لم اتصل.»

لم تستطع باريسا أن تفهم قوله «لم تكوني مهتمة لأمري.» فهي لم تكن تعرف ماذا حدث له، ولو عرفت لكانت ظلت معه ولم تفارقه. فمدت يدها ومررت كفها على شعره الأسود القصير.

«إذن، لهذا السبب قصصت شعرك.»

«بالطبع، فأنا ما كنت لأقبل بأن اسير في الشارع نصف أصلع.» ثم نهض وهو يضع يده على رأسه، نظر إليها وقال: «سوف أطلب القهوة، خذي وقتك، فأنت تبدين متعبة.» بعد ذلك جمع بعض الثياب من الخزانة وخرج من الغرفة.

فتحت باريسا فمها محاولة الكلام، لكنها عجزت عنه، إذ ماذا في إمكانها أن تقول؟ أستقول انني انتظرت مكالمتك وعندما لم تأت قلت عنك أنك نذل وأنني أكرهك، وعندما عدت قلت انني احتقرك؟ وتصرفت معك وكأنني عنصر من المرتزقة الذين لا يهمهم سوى المال، فقبلت بعرضك. بعد كل هذا، كيف يمكنها الآن ان تعترف له بحبها؟

استلقت باريسا على السرير متعبة ومصدومة من حقيقة ما اكتشفته ومما يرمز له هذا الاكتشاف، فكل هذه الأمور صعبة التحمل بالنسبة إليها. لقد احست بصدمة فظيعة في عواطفها، وبشعور متنام يقول لها انها ارتكبت غلطة أخرى، لقد كان عليها أن تكون أكثر ثقة به منذ البداية، بدل الاعتقاد بانه كاذب ومحتال، فعلى الأقل، كان عليها الاتصال به منذ ان اكتشفت شخصيته الحقيقية في جريدة يوم الأحد، ولو فعلت لسلكت علاقتهما مساراً طبيعياً، ولكن بدل ذلك هربت

إلى بيتها وعضت على جراحها، ثم أخذت تقول انها تكرهه، ونعتته بكل الصفات البشعة.

كيف لم تلاحظ الندبة من قبل؟ ولكنها الآن تذكرت أنه عندما رأته للمرة الأولى بعد عودته، كان يرتدي كنزة عالية العنق، أخفت جرحه. انه أمر منطقي جداً.

اغرورقت عينا باريسا بالدموع وهي تفكر بالمعاناة التي مر بها، فقد جرح نفسه، ومن ثم عانى من مرض والدته. لا عجب إذن في انه بدا نحيلاً وكئيباً. كيف انها لم تلاحظ ذلك؟ سألت نفسها هذا السؤال مراراً وتكراراً، ولكن بلا فائدة. مسحت دموعها، وأخذت تلوم نفسها على عدم تحسسها معه، إذ انها لم تكن تفكر إلا بمشاكلها، دون أن تفكر بالسبب الذي منع لوك من الاتصال بها.

سببت هذه المستجدات صدمة كبيرة لتفكير باريسا، فقد كان في إمكان لوك أن يخبرها بأمر هذا الحادث لاحقاً وفي الليلة التي تناولا فيها العشاء معاً، سألته بعد أن اصطدم رأسه بالباب إذا ما كان قد تأذى، ولكنه انكر ذلك. ومرة ثانية، عادت لتحليل كل تساؤلاتها السابقة حول لوك.

نهضت باريسا وهي لاتزال تفكر بكل تصرفات لوك خلال الليلة الماضية، ثم تذكرت أنها تريد الاستحمام. خلال وجودها تحت «الدوش»، توصلت باريسا إلى قرارها النهائي. فقد قررت ان تخبر لوك بانها لم تكن تعرف أي شيء عن الحادث الذي تعرض له، وسوف تخبره أيضاً كم هي حزينة لما جرى له، وبعد ذلك يستخلص هو بنفسه كل ما يريد من الأمر، انها تحبه. وقد تقنعه لاحقاً بتمديد

زواجهما المحدد لفترة معينة إلى زواج مدى الحياة، ولكن ليس في وسعها سوى المحاولة...

بعد عشر دقائق كانت باريسا قد انهت حمامها، فارتدت ثيابها وسرحت شعرها إلى الخلف، ثم وضعت قليلاً من الزينة على وجهها، وتوجهت إلى غرفة الجلوس.

كان جالساً إلى طاولة المائدة الصغيرة وأمامه رزمة من الورق وإبريق القهوة، نظر إليها وهي تدخل الغرفة.

«لماذا لا يوجد لحم وبيض على مائدتك اليوم؟» قالت باريسا مازحة في محاولة منها لإخفاء ارتباكها.

«لا رغبة لي الآن... لاحقاً نتناول طعام الغداء، ثم نذهب لزيارة أمي.» وضع جدول أعماله لهذا النهار وهو ينظر إليها، ثم عاد وركز بصره على المستندات أمامه.

جلست باريسا في مواجهته على الطاولة وسكبت لنفسها فنجاناً من القهوة، ثم شربته بنهم وكأن هذا السائل الساخن يعيد إليها ثقتها بنفسها، فنظرت إلى رأسه المنحني وتاقت لأن تمد يدها وتمسد شعره، ولكنها بدل ذلك أحكمت يدها على فنجان القهوة الفارغ، وأخفضت عينيها ثم قالت: «لوك، لم أكن أعرف أبداً أنك مريض، لو عرفت لكنت حاولت الاتصال بك، أنا آسفة.»

رفع رأسه، وتأمل وجهها الحزين ثم قال: «نعم، أنا متأكد من أنك كنت لتفعلي ذلك. أخبريني، هل مازلت تتصلين بصديقتك مويا؟»

لم تستطع باريسا أن تقيم رد فعل لوك، فاعترافها واعتذارها لم يعنيا له أي شيء، وبدل أن يقدر كلامها، أخذ يسألها عن صديقتها. فأخفضت باريسا جفنيها لتخفي الحزن الذي كانت

متأكدة أنه ظهر على عينيها. لقد توصلت الآن لجواب عن تساؤلاتها السابقة، وهو أن لوك لا يهتم لأمرها، ولكنها لم تستطع أن تصدق ذلك وقررت أن تحاول من جديد.

«أجل، بالطبع، ولكن بخصوص الحادث، أنا...»

«إنسي الأمر يا باريسا.» ثم وقف واقترب من مقعدها، فانحنى وقبلها على جبينها قبل أن يأخذ بذراعها ثم يساعدها على الوقوف.

«ان الماضي ولىّ وانتهينا منه يا باريسا. لقد أصبحت الآن زوجتي، ونحن سعداء مع بعضنا، أليس كذلك؟» ثم نظر إليها متحدياً إياها أن تقول العكس.

قالت باريسا مبتسمة: «نعم.»

«جيد. إذن لا داعي للمجادلة واستعادة الماضي. اعتقد بأننا سوف نقضي الاسبوعين القادمين بشكل رائع.»

«إن هذا الأمر يناسبني تماماً.» قالت باريسا وهي مصممة على جعل زواجها المحدود زواجاً مدى الحياة.

وضع يده على كتفها، ثم رفع ذقنها وقال:

«اذهبي واحضري معطفك.» ثم أضاف مداعباً: «اسرعي يا زوجتي، فأنا أتضور جوعاً وهذا لا يناسب شهيتي.»

وهكذا، قضيا نهارهما حسب تخطيط لوك، تناولا طعام الغداء، ثم توجها إلى المستشفى لعيادة والدته.

انقضت فترة الاسبوعين بسرعة كبيرة، لدرجة أن باريسا ولوك لم يشعرا بهما.

«سوف أذهب إلى المستشفى اليوم لوحدي، أما أنت فجهزي نفسك وارتدي ثياباً جميلة، لأني سوف اصطحبك للسهر خارجاً.»

قالت باريسا مازحة: «حسناً يا زوجي العزيز.»

«إني أعني ما أقول يا باريسا. من المفترض أن تخرج أمي من المستشفى هذا اليوم، وكما تعرفين، فقد تم تأخير خروجها عدة مرات، ولكني كنت قد تحدثت مع طبيبها فأخبرني أنه صار في إمكاننا أن نأخذها إلى ايطاليا. أما أنا وأنت، فلنا كلام مع بعضنا. لن أتأخر كثيراً، ساعتين على الأكثر.»

تنهدت باريسا وهي تنظر إلى لوك وهو يدخل الحمام، وفكرت أنه ربما تسير الأمور حسب رغبتها، فهي تحب لوك من صميم قلبها، وقد ساعدت مدة الاسبوعين الاخيرين على ترسيخ مشاعرها نحوه. منذ اليوم الأول لهذا الزواج، تعيش باريسا سعادة لا توصف.

أطرقت باريسا مفكرة في وضعها مع لوك.

لقد أخبرها الآن أنه يريد التحدث معها، فأملت من صميم قلبها أن يكون حديثه حول استمرار زواجهما.

في هذه اللحظة، عاد لوك ودخل الغرفة، ثم تناول سترته من الخزانة، فلم تستطع أن تبعد عينيها عنه وأخذت تراقبه وهو يرتديها.

«أراك لاحقاً يا حلوتي.» ثم انحنى وقبلها على جبينها، وتابع: «وفري هذه النظرة حتى أعود.» ثم ابتسم ومضى.

أمضت باريسا الساعة التالية وهي تحضر نفسها بسعادة حسب توجيهاته. لكن الغمامة الوحيدة التي تعكر صفو حياتها هي حقيقة ان لوك لم يتطرق بعد إلى موضوع انتهاء مهلة الاسبوعين وما الذي سيفعلانه بعد ذلك. أما هي فلم تجرؤ على فتح هذا الموضوع.

الفصل العاشر

أنهت باريسا حمامها، فلبست رداءها، ولفت شعرها بالمنشفة، ثم نظرت إلى صورتها في المرآة، ولم يقاطعها سوى صوت قرع الباب. هل عاد لوك سريعاً؟ قالت في نفسها وهي تبتسم، فربطت حزام ردائها باحكام حول خصرها وأسرعت عبر الرواق وفتحت الباب.

حدّقت باريسا بالمرأة الواقفة عند المدخل، وأبقت يدها على مسكة الباب وهي مرتعبة النفس ومرتعدة الأوصال من أثر الصدمة. إنها مارغوت ماي!

«آه، أنا آسفة، فأنت مازلت هنا. كم أنا سخيفة، لقد قال لوك يوم الاثنين الماضي انك ستغادرين المكان يوم الخميس. أتمانعين دخولي؟» أنزلت باريسا يدها عن المسكة ثم أشارت لها بالدخول وهي تحاول أن تستجمع قواها المنهارة، ثم تابعت مارغوت ماي كلامها: «هل لوك هنا؟ ان لم يكن موجوداً فسوف أمر على مكتبه وأترك له رسالة، فأنا أتشوق لشكره على السوار الجميل.» ثم مدت ذراعها الرشيقة واستعرضت سوارها المرصع بالماس وتابعت: «إنه انسان محب وكريم للغاية، طبعاً، لا بد أنك تعرفين ذلك.» ثم ضحكت فبدت قهقهتها وكأنها زفرة موت بالنسبة إلى باريسا المصدومة.

رحبت باريسا بهدوء بالمتطفلة التي اجتاحت خلوتها، ثم استجمعت قوتها المعنوية وردت عليها بتهذيب ساخر:

www.elromancia.com

«خذي راحتك. أنا متأكدة من أنك تعرفين المكان جيداً. واعذريني لأني سوف اتركك لأوضب ثيابي.» وبقدمين متثاقلتين، توجهت باريسا إلى غرفة النوم الرئيسية وأقفلت الباب وراءها.

قالت باريسا في نفسها، أما من نهاية لهذا الغباء؟ لقد قالت مارغوت انها رأته يوم الاثنين، وهو اليوم الذي قال لوك ان لديه خلاله أعمال مهمة، واقترح عليها الذهاب فيه إلى سرايا هاردكورت لبضع ساعات لتفقد أعمال الترميم. أما الآن، فقد عرفت السبب، لقد كان يخطط للقاء هذه المرأة!

لبست فستاناً قطنياً بسيطاً، ثم فتحت الخزانة ووضبت في حقيبتها ثيابها التي أحضرتها معها، متجاهلة الثياب الكثيرة التي اختارها لها لوك في عدة جولات تسوقية، ثم خرجت من الغرفة.

جالت باريسا بنظرها في أرجاء غرفة الجلوس، فلم تجد أثراً لمارغوت ماي، لكن لفت نظرها اصبع أحمر شفاه مرمياً على السجادة، فالتقطته وهي واثقة أنه لمارغوت ماي وكتبت على المرآة: «لقد انتهت الصفقة. باريسا.»

بعد مرور اسبوعين بالضبط على وصولها، غادرت باريسا الفندق، فأوقفت سيارة أجرة ومضت. لقد فارقها الآن الإذلال الذي شعرت به منذ برهة، وأحست بألم في معدتها، فأغمضت عينيها من الألم.

بعد فترة، كانت باريسا تركن سيارتها القديمة خارج السرايا، فجلست للحظات تتأمل كتلة الصقالة التي تزنر منزلها. كان وكيل العمل قد أكد لها أنه سوف ينتهي من العمل في السطح الجديد قبل عطلة نهاية الأسبوع. شخصياً، لم

تهتم باريسا كثيراً للأمر، فقد كانت متضايقة في الصميم. لقد ساعد اليومان الماضيان اللذان قضتهما في التخييم وفي تدريب فرقة الكشافة التي يرئسها ديفيد على التجذيف في الأنهار، على تحسين وضعها النفسي. لقد كان ديفيد يتصرف وكأنه تلميذ مستاء، محاولاً تذكيرها بأنها عاملته بشكل سيىء جداً، ولم يكن في إمكانها أن تقول له أي شيء دفاعاً عن نفسها، لأنه كان على حق، فهي تعرف أنها تصرفت معه بشكل أرعن.

ترجلت من سيارتها بهدوء، ثم ولجت داخل البيت، فبدت لها التغييرات واضحة جداً. فقد تم نزع أرضيات المنزل الخشبية وأعيد تحسينها وتلميعها، وأعيد دهن السقف والجدران، وتم وضع سجادة جديدة على الدرج الداخلي ووضع عليه أيضاً، إطار من النحاس. أما التأثير البارز الوحيد فهو نزع لوحات العائلة من إطاراتها الخشبية لتنظيفها.

بعد مضي ثلاثة أسابيع على مغادرتها الفندق، أحدثت التغييرات الجذرية في منزلها تطوراً بارزاً، فقد كانت ديدي فرحة جداً بالمطبخ الجديد والحمامات الحديثة، وقد قام السمكري اليوم بتركيب حمام في الجناح الرئيسي الذي صمم حديثاً. لقد كانت باريسا قد اختارت التصميم والألوان عندما كانت في لندن برفقة لوك، والآن لم يعد في إمكانها أن تحتمل الاقتراب من الغرفة لأنها تذكرها به.

رمت باريسا بحقيبة الرحلات في الرواق ثم فكت ربطة عنقها وأسدلت شعرها. عليها أن تسرع في خلع بزة الكشافة لترتاح قليلاً، وقد تضحي بأي شيء في مقابل نوم

www.elromancia.com

هادىء، ولكنها كانت تعلم أن كل مال العالم لا يستطيع أن يشتري لها راحة البال.

قالت ديدي وهي تقف على الدرج الداخلي: «جيد، لقد عدت يا باريسا، لقد اعتقدت أني سمعت شيئاً.»

«أجل يا ديدي، سوف أستحم وأنام باكراً، فلدي مدرسة في الصباح.»

«ولكن الساعة ما زالت الخامسة، وماذا عن العشاء؟ لقد حضرت لك كل المأكولات التي تحبينها.»

توقفت باريسا بعد أن كانت قد صعدت درجة واحدة، ثم استدارت ونظرت إلى السيدة العجوز، انها تعلم جيداً أنها جرحت مشاعر ديدي عندما رفضت مناقشتها في أمر زواجها، مع أنها لم تكن تقصد ذلك.

«أرجوك يا ديدي، أنا منهكة.»

«وماذا أفعل بالطعام الذي طهوته للتو؟»

قالت باريسا مسايرة: «حسناً، أمهليني ساعة.» ثم استدارت وتابعت صعود الدرج. لقد كانت السجادة السميكة الوبر تداعب قدميها، ولكن ارتسمت على وجهها علامة عدم الرضا، فيما كانت تعبر الرواق العلوي، فكيف استطاعت ان تقتنع بفكرة بيع البيت؟ لا بد أن عقلها كان مشوشاً، إذ ما من تفسير غير ذلك. كانت تتضايق كلما رأت التغييرات في البيت، لأنها تذكرها بمن دفع ثمنها... وهكذا، دخلت غرفة نومها وأقفلت الباب خلفها وهي تتنهد من الصميم.

إن مخدعها هو المكان الوحيد الذي تم تسريع العمل فيه. عاينت باريسا سريرها القديم الرباعي الأعمدة، وضغطت على نفسها لخلع البزة، ثم دخلت الحمام،

فأخذت حماماً سريعاً وعادت إلى الغرفة، ثم تمددت على سريرها.

وفجأة اجتاحت مخيلتها صورة لوك، تذكرت أملها الساذج في أن يقع في حبها.

وأعادت استذكار رحلتها بعد تركها للفندق.

كانت قد ترجلت من سيارة الأجرة في محطة السكة الحديدية، ثم دخلت إلى غرفة السيدات، حيث شعرت بتعب شديد، ولم يكن لديها فكرة عن الوقت الذي قضته في ذلك المكان إلى أن حضر موظف في المحطة وأبلغها بأنهم سوف يقفلون بسبب حلول الليل وبأن آخر قطار قد غادر، فأمضت الليل مستلقية على سرير صغير في أحد الفنادق الصغيرة البائسة وهي تبكي.

في الصباح التالي، وبعد أن وصلت إلى سرايا هاردكورت، رحبت بها ديدي بحرارة بالغة. وقد اتصل بها لوك عدة مرات، لكنها رفضت التحدث معه أو حتى الاتصال على الرقم الذي تركه، مما اثار غيظ ديدي.

لم تكن باريسا ترغب في التحدث معه ثانية. كانت ثيابها التي تركتها عنده قد وصلتها بواسطة البريد في اليوم التالي لمغادرتها الفندق، مما قطع بصيص الأمل في عودتها إليه، وقد أرفق بطرد الثياب وريقة كتب عليها: «لقد شقيت من أجلها، فاحتفظي بها. لوك.»

تنهدت باريسا، فقد استطاعت أن تنام. آه، لقد عاد ذلك الحلم لمراودتها ثانية، ألن ينتهي هذا الأمر أبداً؟ شعرت باريسا بالدم يغلي في جسدها، فتململت بتعب في سريرها الواسع. لقد حلمت به وهو يداعب شعرها، فأرادت ان

تسترخي وتتابع حلمها، ولكنها استدركت الأمر لكي لا تصحى وتجد نفسها وحيدة وتعاني من الاكتئاب.

ضغطت باريسا على نفسها لفتح عينيها ثم شهقت، فالأمر لم يكن حلماً. لقد رأت لوك وهو يجلس إلى جانب سريرها وواضعاً يده على شعرها.

قالت متعجبة: «أنت...»

قال لوك متهمكاً: «أجل أنا. فمن غير زوجكِ يستطيع أن يدخل غرفتك؟»

«كيف استطعت...؟ من أدخلك؟» قالت بصوت مبحوح والدم يكاد ينفر من وجنتيها.

راقبت باريسا لوك وهو ينهض ويتوجه نحو النافذة مديراً ظهره لها. فنهضت بدورها واقتربت منه.

قالت باريسا ببرود: «ماذا تفعل هنا؟» وهي مندهشة من النبرة المحذرة التي تغلف صوتها، فقد كانت تشعر بأنها تحترق في الصميم.

«إن رغبة الرجل في أن يرى زوجته ليس بالأمر المستغرب.» قال لوك وهو يجلس على عتبة الشباك ويمد ساقيه أمامه.

«إن هذا الأمر صحيح في الحالات العادية، ولكنه بالتأكيد لا ينطبق على حالتنا.» ثم قطبت حاجبيها بتهكم، وواجهته بشجاعة. لقد كانت شمس الأصيل تعكس على شعره الأسود شعاعاً ذهبياً، وكان الهدوء واضحاً على تقاسيم وجهه، ولكن لسبب ما كانت عيناه السوداوان تتحاشيان نظراتها المباشرة. فلو لم تكن تعرفه جيداً، لكانت أكدت أنه ضائع وحائر. ولكن لوك لا يعرف شيئاً اسمه

ضياع في هذه الحياة، فهو يعرف ما يريد ويحصل عليه ساعة يشاء. إنها تعرف ذلك جيداً.

«حالتنا! لقد نكرتني، هل قضيت عطلة جيدة؟»

«كانت مجهدة، ولكنها كانت مسلية.» أجابت باريسا وهي تتساءل عن الطريقة التي عرف بها بأمر العطلة.

«لقد اتصلت بك يوم السبت، فأخبرتني ديدي بأنك ذهبت لتمضية عطلة نهاية الاسبوع. إنه لأمر مهين أن يعرف الانسان مكان وجود زوجته من مدبرة المنزل. إنه ديفيد. أليس كذلك؟» ثم ظهرت علامة السخرية على وجهه ووقف منتصباً، وعيناه تبحثان عن عينيها وتابع: «إنه صديقك القديم، هل كان جيداً معك يا باريسا؟ هل جعلك تستمتعين بوقتك كما فعلت أنا؟ هل لف شعرك الجميل هكذا.» وأخذ خصلة من شعرها الطويل وشدها نحوه ونبرة الغضب واضحة في صوته وهو يتابع: «هل تمتعت بوقتك معه؟ هل فعلت؟ يا لك من...»

«وما علاقتك بهذا الأمر؟» قالت باريسا ذلك ويداها تحاولان إبعاده عنها، ثم نظرت صعوداً إلى عينيه الغاضبتين وتابعت: «لقد كنا أنا وأنت بصدد صفقة، وقد انتهت.»

كيف يجرؤ هذا النذل على نعتها بهذه الصفات ويتهمها بأنها عديمة الاخلاق مثله؟ لقد بكت طويلاً عليه، لكن الأمر كان مضيعة للوقت.

«حسناً يا باريسا، لا تستفزيني كثيراً لكي لا أجعلك تندمين على ذلك.»

ارتسمت ابتسامة مستهزئة على ثغر باريسا، وبالنسبة

www.elromancia.com

إلى الندم، فهي مازالت تلعن اليوم الذي التقت فيه بلوك.

«لازال لدي الكثير من الأشياء التي يمكن أن تستفزك، لذلك أنصحك بالرحيل.» قالت باريسا ذلك متهكمة في الوقت الذي كانت تكافح فيه من أجل السيطرة على نفسها.

«لا يوجد أحد، بمن فيهم أنت يا زوجتي الحبيبة، يستطيع أن يأمرني بالخروج.» ثم اقترب وأمسك يدها بقوة.

«من الواضح أن ديفيد هذا لم يسعدك. ما زلت تحبينني يا باريسا، إني أرى ذلك في عينيك، فلا تحاولي أن تنكري ذلك.»

إن هذا صحيح، فهي تحبه. ولكنها ضغطت على نفسها وانسحبت من بين ذراعيه متجاهلة الاجابة، فتراجعت إلى الوراء والغضب يسيطر على عينيها الزرقاوين.

«لا داعي للنكران يا باريسا.» قال ذلك وهو يقترب منها ثانية.

«يا لك من مغرور، متعجرف، سافل، إذا كان لي حبيب، فهو ليس سوى واحد، أما أنت... فإنك لم تستطع أن تبقى وفياً لامرأة لمدة اسبوعين فقط.» ثم حركت يدها وهي ترسم إيماءة الانصراف وتابعت: «لقد قلت لي إذهبي إلى السرايا يا باريسا، فأنا لدي أعمال كثيرة اليوم. لقد قلت، أعمال! يا لها من نكتة. إنها أعمال مع تلك التي تدعى مارغوت. هل تعتقدني بلهاء لهذه الدرجة؟ يا لك من حقير. أما بالنسبة لحبي لك، فيسرني أن أخبرك بأني أفضل الوحدة على اقترابك مني، والآن اخرج من هنا...»

«اتعلمين بأمر مارغوت؟» وشحب وجهه الوسيم وأنزل يديه قرب جسمه.

«إني أعلم بأمر مارغوت ماي قبل أن التقيك ثانية.» قالت باريسا ذلك وهي تضحك بصوت ساخر وتابعت: «عندما سطوت على شقتك كنت قد دخلت من شباك الحمام وليس من الباب، وسمعتك تقول للآنسة ماي، لا يوجد لديك وقت، وقد وعدتها بأن تزورها لاحقاً. لقد قلت لي نفس الكلمات التي قلتها لـ مارغوت ماي عندما تركتني في إيطاليا. إن ما يدهشني هو أن فعاليتك الفائقة قد خذلتك أخيراً، وأصبحت متورطاً مع امرأتين.»

استدارت باريسا في مكانها وتوجهت مباشرة نحو الباب، فهذا الرجل لم يسبب لها سوى الألم وجرح المشاعر منذ اللحظة الأولى التي رأته فيها.

«انتظري يا باريسا.» قال لوك ذلك وهو يلف ذراعه القوية حول خصرها ويحملها عن الأرض.

«دعني أيها القذر.»

«كلا، يا باريسا، أرجوك...»

قاومت باريسا بكل قوتها، لكن لوك ضخم وقوي. وبشعور بالإهانة رماها على الاريكة ثم جلس بجانبها وثبت يديها قرب جسدها، مما جعلها مقيدة.

«لا يمكنك أن تمطريني باتهاماتك بهذه الطريقة دون أن تدعي لي فرصة لأدافع عن نفسي.»

«ولِمَ لا افعل ذلك...»

«حسناً، باريسا، من أي نوع من الرجال تظنينني؟ هل حقاً تعتقدين بأنني قليل الوفاء وعديم الأخلاق لدرجة أن أتورط مع امرأتين في نفس الوقت؟»

«نعم. دعني انهض لم يعد هناك ما نقوله لبعضنا.»

www.elromancia.com

«لكن هناك الكثير لأقوله لك، ولن تذهبي إلى أي مكان إلى أن ننهي حديثنا، ما الذي جعلك تهربين في تلك الليلة بعد أن تركتك لزيارة أمي؟ ماذا حدث بالضبط؟»

«لماذا تريد أن تعرف؟» قالت باريسا جملتها بعد أن أدارت رأسها جانباً، فهي لم تكن تريد أن تواجهه خوفاً من أن تظهر مشاعر لم تكن تنوي إظهارها.

«اخبريني، أريد أن أعرف. لقد كنت قد تركت امرأة سعيدة قبل خروجي، وعندما عدت وجدت الجناح فارغاً ورأيت الكلمات المكتوبة باصبع أحمر الشفاه.»

«كان عليك أن تعرف من لون أحمر الشفاه.»

«إنه أحمر فاتح.» ثم حرك جسده الضخم بقلق وتابع: «إنك لا تستعملين أحمر شفاه بهذا اللون. لقد زارتك مارغوت ماي في الفندق. أليس كذلك؟»

«إنك سريع البديهة.»

«لقد شعرت بالغيرة...»

نظرت باريسا إليه، فوجدت ذلك الماكر مبتسماً.

«إنك مجنون، مجنون حقاً.»

«أجل، انك على حق، فأنا مجنون. لقد كنت أشك في أني كنت مجنوناً قليلاً، والآن أصبحت مجنوناً تماماً، إني مجنون بحب سارقة زرقاء العينين.»

أخذت باريسا تغمض عينيها ثم تفتحهما، إذ لا بد من أنها تحلم. لقد تصورت أن لوك قد صرح لها بحبه. لكن لا، ان الأمر ليس حلماً، لقد سمعت تنهيدته العنيفة وهو ينهض وينتصب على قدميه.

«أليس لديك ما تقولينه يا باريسا؟»

عم السكون المزعج المكان، ولكنها لم تستطع أن تخرقه لأنها لم تكن تجرؤ على هدم ما تبقى من ذلك الحاجز المتصدع الذي بنته حول قلبها في الأسابيع القليلة الماضية. لقد كانت خائفة من أن تجعل من نفسها بلهاء، للمرة الثانية مع هذا الرجل.

«ولماذا تصدقينني؟ فقد عاملتك بشكل بغيض وكان عذري الوحيد هو الجنون.» ثم ضحك ساخراً وتابع: «لقد كنت محقة بشأن غضبي وغروري عندما تركت الفندق، لقد وضبت ثيابك في لحظة غضب، وقلت في نفسي انه يجب ان أدعك تحترقين لمدة اسبوعين، ولكني تذكرت حين قضيت شهرين أعاني من بعادك، وفي النهاية قررت أن آتي إليك.»

«لقد قضيت عطلة نهاية الاسبوع وأنا أدرب فرقة الكشافة على التجذيف في الأنهار. وقد صودف أن ديفيد كان القائد، وهو في هذه الأيام لا يتكلم معي كثيراً لأني تزوجتك. لقد كنت في خيمة الفتيات، وكان ديفيد في خيمة الأولاد.» قالت باريسا نلك وهي تشعر ببصيص أمل.

«التجذيف؟ الكشافة؟ لقد كان يجب أن أعرف. لقد اخبرتني ديدي بأنك ذهبت مع ديفيد، وأنت أيضاً جعلتيني اعتقد بأنك قضيت كل وقتك معه.»

«أما أنا فلم أكن اعتقد، بل كنت متأكدة من أنك كنت مع امرأة أخرى، فقد التقيت بها.»

«أنا أحبك، وقد أتيت اليوم لأقنعك بهدوء وبعقلانية بأن تمنحي زواجنا فرصة، وأيضاً لاقتلك إذا ما كان الكلام الذي أخبرتني به ديدي على الهاتف صحيحاً. ان فكرة

www.elromancia.com

لمسك من قبل أي رجل آخر تقودني إلى الجنون من الغيرة.»

هل أن هذا الرجل الخاطىء، والزوج المتعجرف يغار عليها حقاً؟ إنه سؤال لم تكن مقتنعة به تماماً، ولكن كم كانت ترغب في أن تصدقه.

«اعتقد أن ديدي كانت تحاول أن تغيظك قليلاً، ومهما قالت لم يكن يجدر بك تصديقها.» ثم نهضت ولفت ثوب النوم حولها. كان لوك ما زال جالساً، لكنها تجاهلته ولم تنظر إليه وأضافت: «لم يسبق لك قط أن أخبرتني بأنك تهتم لأمري.»

قال متضاحكاً: «لم أخبرك قط...؟ آه، يا باريسا، كنت دائماً أعبر لك عن حبي مراراً وتكراراً. لقد وضعت قلبي بين يديك، ولكن على طريقتي الخاصة.»

«آه، يا لوك، لم أكن أعرف ذلك.» ثم ابتلعت ريقها وتابعت: «هل أن أمك وكل شيء...» وهنا قاطعها لوك قائلاً:

«باريسا، أنا أشعر بالعار، وأنا أعترف لك بأني استغليت أمي عن قصد وبعكس التصور الذي جعلتك تعتقدينه في الأسابيع الماضية، فأنا أحب أمي كثيراً ولكني نادراً ما أقضي معها فترات زمنية طويلة، ان لديها شقتها الخاصة في جنوى، ولديها شلة من الأصدقاء، وهي في واقع الأمر لا تعيش معي، ولم تبق في فيلتي سوى في ليلة الحفلة، لأن الحفلة كانت على شرفها، صحيح أنها تريد مني أن استقر، ولكني قضيت سبعة وثلاثين عاماً من عمري وأنا أتفادى أي ارتباط، وقد حان الوقت لكي أغير رأيي، وهذا يعني أني لم أخطبك لأرضي أمي...»

«ولكنك قلت...» لقد كانت تريد أن تصدقه، ولكن...

«هس، يا باريسا واصغي إليّ. يجب أن أعترف لك بكل شيء الآن قبل أن أفقد شجاعتي. لقد تملكني حبك منذ أن وجدت نفسي جالساً مع امرأة معينة ترتدي اللون الأسود، ولعلني أحببتك قبل ذلك بكثير، أي منذ أن استدرجتني تلك الطالبة ذات العينين الزرقاوين وأثارت حفيظتي. لا أعرف ماذا حصل لي، ولكن كل ما أعرفه هو أنني منذ التقيتك في الشقة وددت أن أراك دائماً. وعندما بدأت تثرثرين عن موضوع الابتزاز، منحتني فرصة مثالية، ولم استطع ان أقاوم ذلك الذي كان يهمس لي بأن أبقيك بصحبتي لبضعة أيام. أنا أعرف أن خداعي لك كان مقيتاً، ولكن لم أشعر بهذا الأمر إلا عندما وصلنا إلى ايطاليا وحاولت اغواءك فارتعبت ونعتني بالمبتز، في هذا الوقت فقط، أدركت فظاعة فعلي وعدت إلى رشدي. لقد شعرت فجأة بأنني لا أقل نذالة عن المبتز الحقيقي. في تلك الليلة، وبينما كنا نتناول العشاء، وبعدما أشارت أمي إلى مدى البراءة التي أنت عليها، شعرت بأني انسان بغيض، وهو شعور لم أكن أحسد عليه. عندها فقط، أدركت أني أحبك، وأردت أن أعترف لك بكل شيء وأن أقنعك بأن نجعل خطوبتنا حقيقة. فأخذتك إلى غرفة المكتب وهذا الخاطر في ذهني، ولكن قبل أن اتطرق إلى الموضوع الذي كنت أود أن أثيره، انضمت إلينا أمي لشرب القهوة. في اليوم التالي، كنا قد تمتعنا كثيراً بوقتنا، فلم أسمح لنفسي بأن أفسد مرحنا باعترافي بأني خدعتك، فقد كنت أعتقد بأن لدي الكثير من الوقت

لذلك، فأنا لم أكن أنوي أن أزجك في علاقة كاملة بشكل مفاجيء. ولم يكن يخامرني أي شك بأنك سوف تشكين بحقيقة شعوري نحوك، ولكن بعدما حصل لي الحادث ولم تتصلي بي...»

«لم أكن أعرف بذلك، لقد انتظرت في شقة مويا خمسة أيام من أجل اتصالك، ولم أترك المكان إلا عندما حان الوقت لأعود إلى عملي.»

«حسناً، لا داعي لأن ندخل في هذا الموضوع، فما حصل قد حصل وقد انتهينا منه.»

«ولكن يا لوك...»

«باريسا، أنا لا أطلب منك أن تحبيني بشكل مباشر، فأنا أعرف أنك لا تبادلينني نفس الشعور. عندما تركت تلك الرسالة الهاتفية في آلة الرد الأوتوماتيكية الموجودة في شقة مويا، اعتقدت بأن أقل ما يمكنك فعله هو الرد عليها.»

قالت متعجبة: «أية رسالة هاتفية؟ لم أعرف قط...»

«أرجوك يا باريسا، لا تزعجي نفسك باختلاق الأعذار، لقد اخبرتني بنفسك أنك تشاركين مويا شقتها وأنك تبقين على اتصال دائم معها. لقد اتصلت بعد عشرة أيام من الحادث، أي بعد أن استطعت الكلام، لا بد وأنها مررت الرسالة إليك.»

«آه، يا لوك...» تنهدت وهي تقترب منه وتابعت: «أنت مخطيء، فلا أنا ولا مويا عرفنا بأمر اتصالك، أنا متأكدة من ذلك. لقد غادرت مويا في نفس يوم الأحد الذي غادرت فيه أنا، فقد توجهت إلى منزل والدها لتحضير نفسها لحفلة الزفاف، وبقيت هناك إلى ان سافرت لقضاء شهر العسل،

وسوف تعود يوم غد. لو عرفت بأمر الحادث لكنت أسرعت إليك وبقيت إلى جانبك.»

«آه، كم كنت غبياً! فقد كنت غاضباً جداً في المستشفى في نابولي وأنا أتشوق لسماع صوتك. بعد ذلك، وحين صار في امكاني السفر، زاد غضبي لأنك لم تردي على اتصالي وقررت أن أسافر إليك وأطلب تفسيراً للأمر، ولكن أمي أصيبت بالمرض ثم أتتني فرصة، واضطررت للمجيء إلى لندن وتوجهت مباشرة إلى الشقة، حيث عرفت من أحد الجيران أنك حتى لم تعطيني عنوانك الحقيقي، فصممت على أن اجدك ثانية وأجعلك تدفعين ثمن الصدمة العاطفية التي سببتها لي.»

ان الأمر ساخر حقاً، قالت باريسا في نفسها وهي تبتسم، فاللحظة الحذرة الوحيدة التي قضتها في إيطاليا، كانت عندما أعطت لوك رقم هاتف مويا، وهي اللحظة التي تسببت بكل هذا الألم العاطفي الذي عانى منه الاثنان.

«لقد اكتشفت بالصدفة ان شركتي تتولى أمر بيع لقبك، فلم استطع أن اصدق كم أنا محظوظ. ان اسمك هو اسم غير عادي، وبعد ان تحرّيت الأمر عرفت أنه انت. لقد اشتريت اللقب املاً في أن أصل إليك. أنا أعترف بذلك.»

«ألم تشتريه من أجل حب أمك للعظمة، أو أي شيء من هذا القبيل؟»

«هل أنت مجنونة؟ من أدخل في رأسك هذه الفكرة؟»

«آنا، في إيطاليا. لقد قالت لي ان أمك أرادتك أن تتزوجني لكي تحصل على مركز اجتماعي.»

«هراء. فانا رجل معروف وثري جداً، ولدي المركز

الاجتماعي الذي أريده.» ثم نظر إليها مبتسماً وتابع: «الآن دعيني انهي كلامي. منذ أن عدت ورأيتك ثانية وعرفت ظروفك، أدركت كم أنا أحتاجك. لقد كنت حقاً كما وصفتني متعجرفاً ومتلاعباً. ولكني كنت أعتقد بأنه بعدما أعيدك إلى جناحي سوف أتمكن من اقناعك بالبقاء معي. هناك الكثير من الأشياء التي أود أن اعتذر لك عنها، إذ ربما أنني لن أملك الشجاعة لأعتذر لك ثانية. إنه لأمر صعب على رجل مثلي أن يدرك أنه وقع في حب امرأة تتنازل عن حبيبها الأول بسبب تعرضه لحادث ما تصبح أقرب إلى المرتزقة. لذلك، قررت أن أعقد معك اتفاقاً، وقلت في نفسي ان هذا الأمر لتلقينك درساً، ولكني لم أكن اخدع سوى نفسي. لقد كنت اتمنى في الصميم لكي تبقي معي ولا تتركيني بعد نهاية الاسبوعين.»

قالت باريسا متمتمة باعترافها: «لم أكن أنوي أن أتركك أبداً.» ولكن يبدو أن لوك لم ينتبه لها، لأنه كان مستغرقاً في اعترافاته.

«عندما تزوجنا، اعتقدت بأني نجحت. ففي الليلة الأخيرة، وعندما كنت عائداً في طريقي إلى الفندق متشوقاً لاصطحابك للعشاء لكي أعرب لك عن حبي النابض، كنت واثقاً من انك تبادلينني نفس الشعور. لم أصدق أنك تركتني بهذه السهولة، فأصبحت كالمسعور الهائج. وعندما عرفت في صباح اليوم التالي أنك عدت إلى هنا، كان قد فات الأوان لعمل أي شيء. فقد اضطررت لمرافقة والدتي في رحلة العودة إلى ايطاليا، كما أن الأعمال كانت قد تراكمت خلال فترة غيابي...»

«لقد قلت سابقاً انك كنت تنوي أن تجعلني أحترق، وبصراحة، لقد أصبحت الآن محترقة.»

أغمضت باريسا عينيها وهي ممتلئة بالحب والطمأنينة، فرفع ذقنها ومسح دمعة سالت على خدها.

«باريسا، هل ما زال هناك أي أمل لي؟ هل ستمنحين زواجنا فرصة؟ سامحيني، ودعيني أحاول أن أجعلك تحبينني.»

«لقد أحببتك منذ اليوم الأول الذي قضيناه معاً في إيطاليا، ولكنك عندما لم تتصل بي لمدة خمسة أيام، عدت إلى بيتي وأنا مقتنعة بأنك استغليتني لا أكثر. لقد رأيتك عندما كنت تحدث مارغوت، وسمعتك وأنت تعدها بأنك سوف تقضي عطلة نهاية الأسبوع معها، وبعد يومين فقط، صرت على علاقة معي.»

«باريسا. اصغي إليّ، لا أعرف ماذا سمعت، ولكني استطيع أن أؤكد لك أنني لم أُمضِ أي وقت مع مارغوت في تلك العطلة، فبعد ان التقيت بك وعرفت منك أن مدير المطعم مبتز، قضيت باقي أيام الاسبوع وأنا اساعد الشرطة لإلقاء القبض عليه. وأنا لم أرَ مارغوت منذ عدة أشهر، فقد كانت علاقتنا عادية جداً، عندما كنت في لندن كانت شريكة مناسبة في العمل، أنا لست فخوراً بهذا الواقع ولكنها الحقيقة، وقد قررت أن انهي هذه الشراكة. ولو استمعت جيداً لما دار بيننا من حديث للاحظت أنني لم أخبرها بمكان إقامتي الحقيقي.» وهنا تذكرت باريسا قول مارغوت أنها أخذت عنوانه من المطعم، وتابع لوك كلامه: «لقد حضرت إلى لندن في ذلك اليوم

www.elromancia.com

خصيصاً لحل الفوضى التي كانت قائمة في المطعم، وقد كانت الشقة جزء من هذه الفوضى وكانت تستغل من قبل مدير المطعم. لقد بقيت معه حتى وضب متاعه ورحل، وكنت انتظر وصول تينا مع مزيد من المستندات التي كنت قد طلبتها، وكنت على وشك الخروج عندما وصلت مارغوت، أنا أعترف بأني اشتريت سواراً من ذهب الكارتييه في اليوم السابق لشرائنا للخاتم. وقد كان لمارغوت، كهدية وداع، ان عملي لا يستحق الثناء، أنا أعرف ذلك، ومن بعدها، لم أعد أرى مارغوت، مع أنها تضجرني بالمكالمات الهاتفية، وقد تحدثت معها هاتفياً للمرة الأخيرة يوم الاثنين. لقد أرسلت اليها السوار مع شخص، وقد ارفقته برسالة أوضح لها فيها أنني أحب زوجتي وليست لدي أية نية في رؤيتها ثانية.»

«دفع مبلغ لقاء أتعاب...» قالت باريسا ذلك وهي مصدقة ما يقول، ألم تحذرها آنا في اليوم التالي للحفلة بأنها قد تحصل على الخاتم ولكنها سوف تحصل لاحقاً على السوار، تماماً كالباقيات؟ لكن باريسا لم تتوقف بل تابعت: «لقد دفعت لآنا بنفس الطريقة.»

«آه، انك تجعلينني أبدو فظيعاً يا باريسا. لكن كلامك صحيح نوعاً ما، فأنا لم أكن أفكر بما أقوم به. هدية فوداع كان كل ما استطيع تقديمه لكل امرأة لقاء عدم ارتباطي بها، إلى ان التقيتك.»

قالت باريسا: «ولكن إياك من أن تشتري لي سواراً.»

«انك فتاة كشافة ممتازة يا باريسا، فهل أن ازعاج الرجال جزء من تدريبك؟ أم أنك متهورة هكذا دائماً؟»

«لست متهورة.»

قال لوك ضاحكاً: «باريسا! ألم تدركي هذا الأمر بعد؟»

«أدرك ماذا؟»

«تدركين أنك مغامرة وطائشة، تماماً كأجدادك القدماء. لقد كان هذا هو الشيء الوحيد الذي اعتمدت عليه في ملاحقتي لك.»

«لا اعتقد أني معجبة بهذه الملاحظة.» فهل أن لوك يعرفها أكثر من نفسها؟

«لقد قضيت عطلة نهاية الاسبوع وأنت تجذفين في النهر، انه عمل خطر يا حلوتي! وكنت في الرابعة عشرة من عمرك عندما تهندمت بلباس امرأة... انها ليست تصرفات أناس حذرين. وأيضاً، لقد وصلت إلى الألعاب الأولمبية نتيجة جهد كبير، وقضيت على هذا الحدث لأنك فضلت ان تجربي الرفاس النطاط، ثم تسلقت سلم الطوارىء ودخلت شقة بواسطة الخلع من أجل صديقة، وسافرت إلى إيطاليا برفقة رجل بالكاد تعرفينه وأنت مقتنعة في ذلك الوقت بأنه محتال... كما أنك بعت اللقب دون أن تفكري بعواقب الأمر، وتقولين لي الآن انك لست متهورة.»

«حسناً، ربما كنت متهورة قليلاً، لكني أتحمل المسؤولية. فأنا اعمل... آه!» ثم توقفت عن الكلام بعد ان أدركت فجأة أنها لا تستطيع أن تسافر بعيداً لأن لديها الكثير من الالتزامات وتابعت: «ان عليّ أن ابقى هنا يا لوك، فأنا سعيدة بعملي.»

«أعرف ذلك يا باريسا، إنك امرأة ممتلئة بالنشاط والحيوية، وسوف أنقل عملي وأبقى معك.»

ولكن لا تقلقي. فقد رتبت كل شيء لأني سوف اعيش هنا، إن المكان واسع بما يكفي، ولا يوجد هناك ما يمنع رب المنزل من أن يكون له مكتب مجهز بكمبيوتر حديث في بيته. أما بالنسبة لعملك، فلن أطلب منك أن تتوقفي عنه، ولكني أحب أن تكوني قادرة على السفر معي عند الضرورة، لذلك سوف تعملين بشكل جزئي، حيث تبدأين بنادٍ للياقة البدنية خاص بك، أو تعملين كمدربة، وطالما أنتِ تحبينني، فلا يهمني ماذا تعملين.»

ذهلت باريسا من أفكار لوك المثمرة، لكن هناك سؤال واحد لم يجبها عنه بعد.

«هل تعتبرني حقاً كالمرتزقة يا لوك؟»

«أعرف أنك وافقت على الزواج مني عندما كنت تكرهينني، ولكني كنت على ثقة بأنك فعلت ذلك من أجل ديدي وجو وليس من أجل المال.»

كان قلب باريسا يخفق بالحب لهذا الرجل الضخم الذي أعرب ببضع كلمات عن مدى حبه لها وولعه بها فرفعت عينيها اللامعتين ونظرت إليه.

قالت باريسا: «أحبك يا لوك.» ثم أضافت مازحة: «لم أعد متأكدة الآن من هو السيد واللورد.»

«ألم تعرفي بعد يا باريسا؟ لو كان في إمكاني لقدمت لك العالم بأسره. فأنا أحبك... وبعكس ما كنت تتصورين، فأنا لا أحب المراكز على الاطلاق.»

«هل سيكون هناك ابتزاز آخر؟» قالت باريسا ذلك مازحة وهي تراقبه جيداً، لكنها لم تلحظ أي تعبير بالإساءة على

وجهه كرد فعل على كلامها، وكل ما لاحظته هو ذلك الشعور الواضح بالرضى.

«لكن ليست لدي نية لأكون كذلك، وأشك في أن أحداً ما سوف يستطيع أن يفعل ذلك. يا حبيبتي المتهورة باريسا، ويا سيدتي وزوجتي.»

تمـــت

www.elromancia.com